

الإيمان بالملائكة

إعداد

د/ على محمد محمد الصلابي

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب:	الإيمان بالملائكة
المؤلف:	د/ على محمد محمد الصّلاّبي
الطبعة:	طبعة أولى / ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م
الناشر:	مكتبة الإيمان - مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيداع:	

حقوق الطبع محفوظة للناسر

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد - القاهرة / ميدان حليم

خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

٠١٢/٩٩٦١٦٣٥ - ٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤

٠١٠/٠٠٠٤٠٤٦ - ٠١٠/٠١٠٤١١٥

MAIL: INFO@ALSLLAB.COM

WEBSITE: WWW.ALSLLABY.COM

الإهداء

إلى كل إنسان في الوجود يبحث عن حقيقة الإيمان
بالملائكة.

أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل بأسمائه
الحسنى وصفاته العُلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى:

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}

قال تعالى:

{الَّذِينَ نُنَاقِهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ

عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ



{

[النحل: ٣٢]

[الكهف: ١١٠]

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهٖۚ وَلَا تَمُوْنُوْا اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ} (١٠٢)

[آل عمران: ١٠٢].

{يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْ تَسَاءَلُوْنَ بِهِۦٓ وَالْاَرْحَامَ ۚ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا} (١)

[النساء: ١].

{يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ وَقُوْلُوْا قَوْلًا سَدِيْدًا} (٧٠) {يُصْلِحْ لَكُمْ اَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا} (٧١)

[الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

يا رب لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

أما بعد:

فإنه مع أهمية الإيمان بالملائكة عليهم السلام إلا أنك تجد الكثير من المسلمين لا يهتمون بتفاضل الإيمان بهم وإنما يكتفون بكلمات عامة يطلقونها وإذا ذهبنا في الاتجاه المعاكس نرى اهتمام الناس بالكتب التي تتحدث عن الشياطين والجن والسحر، والعين والحسد... إلخ.

ولا يمكننا المقارنة من حيث الكم بين المؤلفات التي تتحدث عن

الملائكة وغيرها من الأمور التي ذكرتها، فإن الكتب التي أفردت للحديث عن الملائكة لدى الكتاب المعاصرين قليلة جداً - على حسب علمي وإطلاعي - كما أن حديث العلماء والدعاة والفقهاء وطلاب العلم وأهل الفكر والثقافة في وسائل الإعلام كالفصائيات وغيرها عن الملائكة نادراً من حيث التفصيل والتوضيح والبيان، مع أن لهم صلة قوية بالإنسان قبل مولده، وأثناء حياته وعند مماته وفي داره البرزخية وعند البعث والحياة الآخرة ولهم في كل تلك المراحل أعمال يقومون بها.

والملائكة المقربون هم أصحاب الدعاء العظيم لأهل الإيمان الذي ذكره الله لنا في كتابه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ

عَذْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [غافر: ٧ - ٩].

فهذا الدعاء الذي تقشع منه الأبدان من الملائكة المقربين لأهل الإيمان من بني الإنسان يحتاج لتأمل وتفكر وتدبر وعلى المسلمين أن يجددوا علاقتهم بالإيمانية بالملائكة، فالكثير منا أصابه ضعف وفقر وربما النسيان في علاقته بالملائكة، وهذا من وساوس إبليس وطرقه الخبيثة لكي يجعل الناس يلهثون خلف الشياطين والسحرة.. إلخ ويتركوا من جعلهم الله سبباً في حمايتهم من المخلوقات الشريرة والغير منظورة، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ،

الإيمان بالملائكة

مَنْ أَمَرَ اللَّهُ إِبْنَكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ
سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: ٦١].

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله
وعظمته وكبريائه كل شيء، {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} أي: من الملائكة
يحفظون بدن الإنسان^(١).

وقال تعالى: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق: ٤]، أي: حافظ يحرسها من
الآفات^(٢).

هذا الكتاب يهتم بالمعرفة التفصيلية بالملائكة لأنها ترسخ الإيمان بهم
وتعمقها وتجدد المحبة والمودة والصحبة مع عباد الله الأبرار الذين لا
يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والذين تربطنا بهم تحقيق
العبودية الخالصة لخالقنا العظيم جلّ في علاه.

هذا وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى مباحث، منها: المبحث الأول:
ويتحدث عن تعريف الملائكة وحقيقتهم، ومادة خلقهم، ومنزلة الإيمان
بهم، وهل كان إبليس من الملائكة؟

وفي المبحث الثاني: تكلمت عن صفاتهم الخلقية والخلقية، والتي من
أهمها: عظم خلقهم وضخامة أجسامهم وقوتهم، وعظم سرعته،
ووصف أجنحتهم، وعدم حاجتهم للأكل والشرب، وكونهم لا يوصفون

(١) صحيح تفسير ابن كثير للعدوي (٢ / ٢٧).

(٢) المصدر نفسه (٤ / ٦٢٥).

بالذكورة والأنوثة، وكلامهم وجمالهم وقدراتهم الخارقة، وكونهم لا يملئون ولا يتعبون من عبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره، وكان الحديث عن قدرتهم على التمثيل والتشكل وأخلاقهم الكريمة، كالبر والتواضع وعدم التكبر والحياء والنظام ويحبون من أحبه الله ويبغضون من أبغضه الله.

وفي المبحث الثالث: أشرت إلى عددهم وأسمائهم، فبينت الأسماء العامة لهم، كالأشهاد، والملا الأعلى، والجنود والسفرة، والرسل، والأسماء الخاصة، كجبريل، والروح، والروح الأمين، وروح القدس، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، وملاك الموت، ومنكر ونكير، وهاروت وماروت.

ووضحت الأسماء المنسوبة للملائكة والتي لم تصح تسمية الملائكة بها، كعزرائيل، ووقفت مع موت الملائكة هل تموت أم لا؟ وهل يمكن رؤيتهم أم مستحيلة؟

أما المبحث الرابع: فأردته لعبادة الملائكة، فكان الحديث عن إيمانهم بالله عز وجل وشهادتهم بالتوحيد، وتسبيحهم بالله عز وجل، ودعائهم للمؤمنين وعن ولاء الملائكة للمؤمنين، وبراءتهم من أهل الكبائر والمعاصي، وبغضهم لأئمة الكفر، وخوفهم من الله وخشيتهم له، وحضور مجالس الذكر، وخطبة يوم الجمعة، وحضورهم الصلوات في المساجد، وقولهم ما يقول المأموم وصلاة الملائكة وقيامهم وركوعهم وسجودهم وسلامهم، كقوله تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ

الدَّارِ { [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

وفي المبحث الخامس: فصلت أعمال الملائكة، كالمعلقة ببني الإنسان، من نفخ الأرواح في الأجنة، ومراقبة الإنسان وكتابة أعماله وإحصائها عليه، قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠].

ومن أعمال الملائكة كتابتها لكل ما صدر عن الإنسان من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة، كتابة تفصيلية لا إجمالية.

قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ} [القمر: ٥٢ - ٥٣].

ومن أعمالهم حفظ بني الإنسان وملازمتهم ودعوتهم للخير، والسفارة بين الله وبين عباده، وتثبيت المؤمنين وقتالهم معهم، وقبض الأرواح عند الموت، وسؤالهم الميت في قبره، ثم تنعيمه أو تعذيبه، بعد إعادة الروح إلى الجسد، ونفخهم في الصور، وقيامهم برعاية أهل الجنة، ونعيمهم، وخزنة النار.

وأما أعمال الملائكة المتعلقة بالكون، فمنها حملة العرش، والموكلون بالسحاب والقطر، وملك الجبال، وغيرها من الأعمال، كإهلاك الأمم المكذبة، وتبليغ النبي ﷺ بسلام أمته.

وفي المبحث السادس: كان الحديث عن مكائد الشيطان في مسائل الإيمان بالملائكة، كإنكارهم وعبادتهم وتقديسهم.

وفي المبحث السابع: تكلمت عن المفاضلة بين الملائكة والبشر، وحقوق الملائكة على بني آدم، وأثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان، والتي من أهمها:

- تقوية شعور المسلم بعظمة الله عز وجل، فالملائكة كما يتضح من صفاتهم ووظائفهم خلق عظيم: عظيم في القدرة، عظيم في السرعة، عظيم في الطاعة، وهذه العظمة تعكس عظمة الباري سبحانه، فهو الله الواحد الأحد، بديع السماوات والأرض، فالتدبر في صفاتهم التي أخبرنا الله بها في القرآن، وثبتت في السنة يجعل القلب مضطراً إلى تعظيم خالقه وهيبته وخوفه ورجائه، فإن خالق هذه المخلوقات العظيمة عظيم ولا شك، فاستحق أن يعبد وحده سبحانه وتعالى وأن يتقى بأن يذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى^(١).

قال تعالى: {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) [الحج: ٧٤ - ٧٦].

وقال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٦٧) [الزمر: ٦٧].

- وثمار الإيمان بالملائكة الحصول على الأمن والطمأنينة، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة متوقفة على تحقيق الإيمان، ومن ذلك الإيمان بالملائكة عليهم السلام، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (٨٢) [الأنعام: ٨٢].

(١) في الملائكة المقربين د. محمد عبد الوهاب ص ٢٢٩.

الإيمان بالملائكة

وهناك أمن آخر وطمأنينة حسية في الدنيا تحصل لمن حقق الإيمان بالملائكة يحفظونه من أمر الله وبأمر الله، ويحفظونه من أعدائه، فتطمئن نفسه ويسكن قلبه، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويعلم أنه إن ذكر الله ببعض الأذكار المشروعة كآية الكرسي، وقل هو الله أحد والمعوذتين، ونحو ذلك أرسل الله ملائكة يحفظونه من أعدائه، فلا يضره جان ولا دواب ولا سحر، فإذا عرف ذلك ركن إلى الله وتوكل عليه، وابتعد عما لا ينفعه من الذهاب إلى الكهان والسحرة ونحوهم، لأنهم لا يزيدونه إلا خوفاً، كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} ﴿٦﴾ [الجن: ٦].

وأيضا كنت وأينما توجهت في بر وبحر وأرض وسماء وليل ونهار فإن معك ملائكة لا يفارقونك أبداً، فليحرص العبد على تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، حتى يحصل له الأمن والطمأنينة والحماية الربانية التي لا تعادلها حماية، {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٦٤].

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الخميس الساعة الثانية إلا ربع ظهراً بتاريخ ١٤٣١/٦/٦ هـ الموافق ٢٠١٠/٥/٢٠ م بمدينة الدوحة، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ﴿٢﴾ [فاطر: ٢].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب أمام

خالقي العظيم وإلهي الكريم معترفاً بفضلته وكرمه وجوده، متبرئاً من حولي وقوتي، ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل، وربّي الكريم هو المعين، وإلهي العظيم هو الموفق، فلو تخطى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي لتبلى مني العقل، ولغابت الذاكرة وليست الأصابع ولجفت العواطف، ولتجبرت المشاعر، ولعجز القلم عن البيان، اللهم بصرني بما يرضيك، وأشرح له صدري، وجنبني اللهم ما لا يرضيك وأصرفه عن قلبي وتفكيرتي، وأسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تجعل عملي لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، وأن تثيبني على كل حرف كتبتّه وتجعله في ميزان حسناتي، وأن تثيب إخواني الذين أعانوني على إتمام هذا الجهد الذي لولاك ما كان له وجود ولا انتشار بين الناس، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه، ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩].

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

سبحانك اللهم بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

علي محمد محمد الصلّاي
غفر الله له ولوالديه ولجميع
المسلمين

المبحث الأول

تعريف الملائكة وحقيقتهم
ومادة خلقهم

وجوب الإيمان بالملائكة وصفاتهم الخلقية والخلقية

أولاً: الملائكة لغة وشرعاً:

١ - الملائكة لغة:

جمع ملك، وأصله “مألك”، وقيل “ملأك” على وزن مفعّل، فنقلت حركة الهمزة إلى اللام، وأسقطت، فوزن “ملك”: فعل، وقيل مأخوذ من “لأك” إذا أرسل “فملأك” مفعّل، ثم نقلت الحركة وسقطت الهمزة فوزن “ملك” مفل وقيل غير ذلك^(١).

والهاء في “الملائكة” مزيدة لتأنيث الجمع أو للمبالغة^(٢). وقيل مقلوب “مألك” من الألوكة، وهي الرسالة، قال الشاعر:

فلست لأنسى ولكن لمألك :: تنزل من جو السماء يصبوب^(٣)

وملأك مفعّل من لأك إذا أرسل والألوكة والمألك والمألكة، والمألكة الرسالة.

وقال لبيد:

وغلام أرسلته أمه :: بألوك فبذلنا ما سأل

يقال: أكني، أي: أرسلني^(٤).

فعلى هذا يكون أصل الاشتقاق من الألوكة وهي الرسالة، فالملائكة

(١) المصباح المنير (١ / ١٨) القاموس المحيط (٣ / ٣٢٧).

(٢) لسان العرب (١٠ / ٤٩٦).

(٣) الواسطة بين الله وخلقه د. المرابط الشنقيطي ص ١٠٥.

(٤) في الملائكة المقربين، د. محمد عقيل ص ١٤٤.

الإيمان بالملائكة

عليهم السلام هم رسل الله بما يريد إلى خلقه، وقد سماهم عز وجل بذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} [هود: ٧٧].

وقال تعالى: {قَالَ فَاخْطُبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ} [الذاريات: ٣١].

وهذا الذي عليه عامة أهل اللغة والمفسرين^(١).

وقيل: أصله الملك وهو الأخذ بقوة وقيل: مخفف من مالك، وقيل: سموا بذلك لتوليهم تدبير ما أمرهم الله به في السماوات كما يسمى من يتولى تدبير شؤون الناس في الأرض ملكاً.

والقول بأن اشتقاق الاسم من الألوكة وهي الرسالة أقرب وأصوب من جهة اللغة والمعنى، أما المعنيان الآخران فهما من صفاتهم عليهم السلام^(٢).

٢ - الملائكة شرعاً:

هم أجسام علوية قائمة بأنفسها، قادرة على التشكيل بالقدرة الإلهية، ذوو قدرات خارقة لا حصر لهم، لا يأكلون، ولا يشربون ولا ينكحون، مقربون طائعون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم وليس لهم من خصائص الربوبية، والألوهية شيء^(٣).

ثانياً: حقيقة الملائكة كما وردت في الكتاب والسنة:

الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أن الملائكة

(١) المصدر نفسه ص ١٤.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٥.

(٣) الواسطة بين الله وخلقته ص ١٠.

المبحث الأول: تعريف الملائكة وحقيقتهم وسادة خلقهم

خلق من خلق الله سبحانه وتعالى، خلقهم لعبادته، كما خلق الجن والإنس وهم أحياء عقلاء ناطقون، وعالم الملائكة عالم غير الجن والإنسان، وإن كان الجميع خلق الله لكنه عالم كريم طاهر اصطفاه الله في الدنيا لقربه ولتنفيذ أوامره الكونية والشرعية، وجعل الله الملائكة رسله وسفرائه إلى خلقه لإبلاغ وحيه، فأكرمهم الله بهذا ووصفهم بذلك، فقال سبحانه: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْرِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾}

[الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

فأبان الله بهذه الآيات حقيقة الملائكة وأنهم خلق كريم خلقهم الله لعبادته ورفع مقامهم وأكرمهم لكنهم مع هذا الإكرام لم يخرجوا عن مقام العبودية ولا يستطيعون ولو ادعى أحدهم ذلك مع علو مقامه لعاقبه الله بالنار^(١).

ثالثاً: منزلة الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد ولا يقبل إلا بتحقيقه، والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، والأمر بالإيمان بهم والتحذير من الكفر بهم وبيان أحوالهم مع الله ومع الناس وبيان مراتبهم وأعمالهم، فتارة يقرن اسمه باسمهم ويجعل الإيمان به مستلزماً بهم وأن البر لا ينال إلا بالإيمان بهم^(٢).

- قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

(١) في الملائكة المقربين ص ١٥.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٦.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ { [البقرة: ١٧٧].

- وقال تعالى: {ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾} [البقرة: ٢٨٥].

- وقال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ} [آل عمران: ١٨].

- وقال تعالى: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١٣٦].

- وقال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾} [البقرة: ٩٨].

- وقال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: ١٧٢].

- وقال تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِثْنَةٌ} [الحاقة: ١٧].

- وقال تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} [الرعد: ٢٣].

وغير ذلك من الآيات الكريمة.

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة يأتي ذكرها في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

إن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره

المبحث الأول: تعريف الملائكة وحقيقتهم وسادة خلقهم

وشره^(١) واجب إجمالاً لا يصح إيمان عبد إلا بذلك وكلما ازداد الإنسان علماً بتفاصيل هذه الأمور لزمه من الإيمان بحسب ما بلغه من ذلك وهو بذلك يزداد إيماناً^(٢).

- قال تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: ١٢٤].

- وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: ٣١].

والإيمان الواجب ينال بالعلم فتعلم هذه الأمور على وجه الإجمال فرض عين على كل مسلم ومسلمة^(٣)، والإيمان المجمل بالملائكة يتضمن عدة أمور منها:

١- الإقرار بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله خلقهم الله لعبادته وأن وجودهم حقيقي وعدم رؤيتنا لهم لا يدل على عدم وجودهم، فقد رأى النبي ﷺ بعضهم بصورته الحقيقية، ورآهم الأنبياء والصالحون والصحابة وهم متشكلون بصورة البشر وهم رسل الله إلى خلقه بما شاء من وحي وغيره.

٢- إنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله وإثبات أنهم عباد الله مأمورون مكلفون لا يقدرُونَ إلا على ما أقدرهم عليه، وأن الله أكرمهم ورفع مقامهم عنده وفضل بعضهم على بعض وهم مع هذا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً من دون الله وإذا كانوا كذلك فلا يجوز أن يصرف لهم

(١) في الملائكة المقربين ص ١٩، مسلم (١ / ٨).

(٢) المصدر نفسه ص ١٩.

(٣) المصدر نفسه ص ١٩.

الإيمان بالملائكة

شيء من أنواع العبادة فضلاً أن يوصفوا بصفات الربوبية.

٣- الإيمان بما ورد في حقهم من الكتاب والسنة.

٤- الإيمان بمن سمي الله لنا منهم فنقر بهذه الأسماء وأن الله ملائكة منهم جبريل وميكائيل، فكل من سمي الله لنا وجب علينا الإيمان باسمه ومن لم يسم لنا نؤمن به إجمالاً^(١).

فهذا هو الإيمان المجمل بهم عليهم السلام وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة ويجب عليهم أن يتعلموا هذا ويعتقدوه^(٢).

- لطيفة:

نلاحظ في جميع النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي تخبر عن وجوب الإيمان بالملائكة، نجد أن الإيمان بالملائكة مقدم في كل هذه النصوص على الإيمان بالكتب السماوية والرسل صلوات الله عليهم، فليس معنى هذا التقدم أنه نوع من التفضيل فليس هناك من الملائكة على الإطلاق - بما فيهم جبريل عليه السلام - من هو أفضل من سيدنا محمد ﷺ وهو من الرسل ولكن التقديم هاهنا - في هذه النصوص للملائكة على الكتب السماوية والرسل - لأنه لا يَحْدُث ولا يقع إيمان بالكتب السماوية إلا بعد الإيمان بالملائكة، لأن الكتب تنزل عن طريقهم، فكان الإيمان بهم من البديهي قبل الإيمان بما يأتون به من عند الله تعالى وكذلك الرسل، فلا يؤمن أحد من البشر برسول إلا وهو يعلم أن الله بعث هذا الرسول، وكلفه عن طريق الملائكة، فكان الإيمان بالرسل يستلزم الإيمان بالملائكة، الذين هم الوساطة بين الرسل وبين الله تعالى، ولهذا

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٢١.

المبحث الأول: تعريف الملائكة وحقيقتهم وسادة خلقهم

كان تقديمهم وتقديم الإيمان بهم على الكتب والرسل^(١).

رابعاً: خلقهم:

قال ﷺ: ﴿خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ﴾^(٢)، وأما متى خُلِقُوا؟ فالله تعالى لم يخبرنا بذلك ولكننا نعلم أن خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر عليه السلام، فقد أخبرنا الله أنه أعلم الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

والمراد بالخليفة آدم عليه السلام وذريته وأمرهم بالسجود له حين خلقه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣) [الحجر: ٢٩].

خامساً: هل كان إبليس من الملائكة؟

اختلف العلماء في جنس إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن؟ وذلك لورود الآيات القرآنية باستثنائه من الملائكة في مواضع من القرآن عند التعرض لسجود الملائكة لآدم عليه السلام، قال تعالى:

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(١١) [الأعراف: ١١].

- وقال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(١٢) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ^(١٣) [ص: ٧٣، ٧٤]. وغير ذلك من الآيات وهي تدل على استثنائه من الملائكة وقد جاءت آية سورة الكهف مصرحة بأن إبليس من الجن.

(١) العقيدة الصافية، سيد سعيد ص ٧٣.

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٩٤).

(٣) دراسات في التفسير الموضوعي د. زاهر الألمعي ص ٢٢٢.

الإيمان بالملائكة

قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠].

وإزاء هذه الآيات فقد انقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين:

- الفريق الأول: ويرى أن إبليس من الملائكة والاستثناء الوارد في الآيات إنما هو استثناء متصل.

- والفريق الثاني: ويرى أن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن والاستثناء في الآيات إنما هو استثناء منقطع^(١).

ولقد اخترت القول القائل بأن إبليس لم يكن من الملائكة وذلك لقوة الأدلة والتي منها:

١- قوله تعالى: {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [الكهف: ٥٠].

إن الله صرح في هذه الآية الكريمة بأن إبليس كان من الجن، والجن غير الملائكة، فلا يجوز أن ينسب إلى غير ما نسبته الله إليه^(٢).

وقد علل سبحانه، فسق إبليس عن أمر ربه بكونه من الجن ففرق - سبحانه - بينه وبين الملائكة، وهذا ظاهر في أنه ليس منهم^(٣).

قال الألوسي: {كَانَ مِنَ الْجِنِّ} كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيد استثناء اللعين من الساجدين، فكأنه قيل: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان أصله جنياً وهذا ظاهر في أنه ليس من الملائكة^(٤).

(١) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن البراك ص ٤٧٦.

(٢) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ص ٤٧٩.

(٣) آيات العقيدة، خالد عبد الله الدميحي (١ / ٥٢٤).

(٤) روح المعاني (١٥ / ٤٢١ - ٤٢٢).

المبحث الأول: تعريف الملائكة وحقيقتهم وسادة خلقهم

وقال الشنقيطي: وقوله في هذه الآية الكريمة: {كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن، وقد تقرر في الأصول في مسلك النص وفي مسلك الإيماء والتنبيه: أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم: سرق فقطعت يده، أي لأجل سرقة، وسها فسجد، أي لأجل سهوه ومن هذا القبيل قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: ٣٨]. أي لعل كينونته من الجن لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة، لأنهم امتثلوا الأمر وعصا^(١).

٢- أن إبليس لو كان من الملائكة لما عصى الله عندما توجه إليه بالأمر بالسجود لآدم، لقوله تعالى عن الملائكة: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

٣- أن الله أخبر أن إبليس له نسل وذرية قال تعالى: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [الكهف: ٥٠]. فإبليس وذريته يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، كما قال الحسن^(٢): ويأكلون ويشربون والملائكة لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون، فدل هذا على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة^(٣).

٤- أن الله أخبر أنه خلق إبليس من النار ولم يخبر أنه خلق الملائكة من شيء من ذلك، بل ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ﴾^(٤).

(١) أضواء البيان (٤ / ١١٩).

(٢) تفسير الطبري (١ / ٥٢٦).

(٣) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ص ٤٨١.

(٤) مسلم (٣ / ٢٢٩٣).

الإيمان بالملائكة

وقد ورد التصريح في القرآن على لسان إبليس بأن الذي دعاه إلى عدم السجود لآدم هو أنه من النار و آدم مخلوق من الطين، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فالذي دعا إبليس لعدم السجود هو ظنه الفاسد أن النار أشرف من الطين^(١)، وأن المخلوق منها أشرف من المخلوق من الطين^(٢).

٥ - قوله تعالى: ﴿وَبَرَزَتِ الْجَنِّمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [١١] وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ [١٢] مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ [١٣] فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ [١٤] وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ [١٥] [الشعراء: ٩١ - ٩٥].

قالوا: دلت هذه الآيات على أن لإبليس جنوداً، وأنهم جميعاً سوف يساقون إلى النار، وإبليس على رأسهم، في حين أن الملائكة لا جنود لهم، بل هم أنفسهم جنود لله تعالى^(٣).

٦ - قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، قالوا: هذه الآية صريحة في الفرق بين الجن والملائكة، وأن الجن عالم آخر غير الملائكة، وإذا كانوا غير الملائكة لم يكن إبليس من الملائكة مع ما صرح به القرآن أنه كان من الجن^(٤).

٧ - إبليس لم يكن رسولاً من الله لعباده أبداً، وكان الملائكة رسل الله لعباده دائماً^(٥)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ ابْنَ اللَّهِ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

(١) تفسير روح المعاني (١ / ١٢٠).

(٢) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة ص ٤٨٠.

(٣) آيات العقيدة (١ / ٥٢٦).

(٤) آيات العقيدة (١ / ٥٢٥).

(٥) الإنسان وعالم الملائكة د. أحمد شوقي ص ١١٧.

المبحث الثاني

صفات الملائكة الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة

أولاً: صفاتهم الخلقية:

دلت نصوص الكتاب والسنة بأن الملائكة لهم صفات خلقية منها:

١ - عِظْمُ خَلْقِهِمْ وَضَخَامَةُ أَجْسَامِهِمْ وَقُوَّتُهُمْ:

قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًى أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

جاء في تفسير هذه الآية: أنهم غلاظ القلوب شداد الأبدان وهم من القوة بحيث لا تضرهم النار التي تذيب الحديد والحجارة^(١).

وقال تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} ٥ {ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} ٦ [النجم: ٥، ٦]. وصف لجبريل عليه السلام ذو مرة: أي ذو قوة وقيل: ذو منظر حسن، ولا منافاة بين القولين، فإنه ذو منظر حسن وقوة شديدة^(٢).

وقال تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} ١٩ {ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} ٢٠ {مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} ٢١ [التكوير: ١٩ - ٢١]. أي: أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي: ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر، وهو جبريل عليه السلام {ذِي قُوَّةٍ}، كقوله تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} ٥ {ذُو مِرَّةٍ} [النجم: ٥ - ٦]، أي شديد الخلق، شديد البطش والفعل {عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}، أي له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة {مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} أي: له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملاء الأعلى {ثَمَّ أَمِينٍ} صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكي عبده ورسوله

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٩).

(٢) صحيح تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٩).

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

البشري محمداً ﷺ (١).

ومن السنة حديث عائشة - رضي الله عنها -: أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: ﴿لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة﴾ (٢)، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب (٣)، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً (٤) كان مقترح ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، وهو يدخل تحت أسلوب الاستئصال وقد نفذ في قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

ولكن النبي ﷺ رفض منهج الاستئصال، ونظر إلى المستقبل بنور الإيمان، وقرر الدخول إلى مكة ليوصل جهاده الميمون، فالنبي ﷺ أراد

(١) صحيح تفسير ابن كثير (٤ / ٦ - ٣).

(٢) السيرة النبوية للصلابي (١ / ٣٧٥).

(٣) قرن الثعالب: هو قرن المنازل، ميقات أهل نجد، ويسمى الآن السيل الكبير.

(٤) البخاري رقم ٣٢٣١، مسلم رقم ١٧٩٥.

الإيمان بالملائكة

أن يتخذ من أصلاب الكافرين مصانع بشرية تخرج أجيالاً من المسلمين، المقاتلين في سبيل الله، فنظره ﷺ كان مصوّب نحو المستقبل بصورة جلية، ولم يكن ذلك يعني الانسحاب من الحاضر^(١)، ومما يدل على ضخامة أجسام الملائكة وقوتهم حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله قال: ﴿إذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام﴾^(٢).

٢ - أجنحة الملائكة:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مِّثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) [فاطر: ١]، أي: منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا﴾^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب﴾^(٥).

٣ - عِظْمُ سرعتهم:

أعظم سرعة يعرفها البشر هي سرعة الضوء وهو ينطلق بسرعة (١٨٦)

(١) السيرة النبوية للصلابي (١ / ٣٧٦).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ١٥١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٤٦).

(٤) البخاري رقم ٦٠٤٥.

(٥) ابن حبان الإحسان رقم ١٣١٩، إسناده صحيح.

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

ألف ميل في الثانية الواحدة، أما سرعة الملائكة فهي فوق ذلك، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر، كان السائل يأتي إلى الرسول ﷺ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من رب العزة سبحانه وتعالى، واليوم لو وجدت المراكب التي تسير بسرعة الضوء، فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع الشاسع^(١).

٤ - عدم حاجة الملائكة للأكل والشرب:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَمَارَهُ آيِدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٦٩، ٧٠]، وذلك أن الملائكة لا همة لهم في الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه، فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به.

وفي آيات أخرى قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَوْهُمُ الْوَاقِلِينَ ﴿٢٦﴾ فَتَوَلَّى إِلَيْهِمْ قَوْلًا لَا تَأْكُلُوهَا فَأَوَسَّ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

وكون الملائكة لا يأكلون الطعام أمر أطبق عليه العلماء، قال القرطبي: قال علماؤنا: ولم يأكلوا لأن الملائكة لا تأكل^(٢).

٥ - لا يوصفون بالذكورة والأنوثة:

ميز الله عز وجل الملائكة بأنهم جنس يخلق كل واحد منهم بذاته، ولا

(١) عالم الملائكة الأبرار عمر الأشقر ص ٢٢.

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٦٨).

الإيمان بالملائكة

يوصفون بذكورة ولا أنوثة وهم باقون على أصل خلقتهم التي خلقهم الله عليها، هذا ما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة^(١).

قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونَ﴾ ١٤٩ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ١٥٠ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ ١٥١ ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ١٥٢ ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ١٥٣ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٥٤ { [الصافات: ١٤٩ - ١٥٤].

ذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب:

أ - جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس.

ب - وجعلوا ذلك الولد أنثى.

ج - ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس.

وكل منها كافٍ للتخليد في نار جهنم^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ١٥ ﴿أَتَتَّخِذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ ١٦ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ١٧ ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ١٨ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ١٩ ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ٢٠ { [الزخرف: ١٥ - ٢٠].

والمقصود إيضاحه كذبهم وبيان جعلهم في نسبة الأولاد إلى الله سبحانه ثم حكمهم بأن الملائكة إناث من غير دليل والجعل هنا بمعنى القول والحكم.

(١) في الملائكة المقربين د. محمد عبد الوهاب عقيل ص ٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢).

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

تقول: جعلت زيدا أعلم الناس، أي: حكمت له بذلك {أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ} أي: أحضروا حالة خلقهم حتى حكموا بأنهم إناث^(١).

وقد جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ:

أ - جعلوا لله تعالى ولداً، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً.
ب - دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً.

ج - عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل، بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء.

س - احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً، فإنه تعالى قد أنكر عليهم أشد الإنكار فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه^(٢).

٦ - كلام الملائكة:

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠].

قال رسول الله ﷺ: ﴿خلق الله آدم على صورته وطول ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيئك تحيتك وتحية

(١) تفسير القرطبي (١٦ / ٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ١٢٥).

الإيمان بالملائكة

ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله ﴿^(١)﴾. والملائكة يكلم بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبا: ٢٣].

في هذه الآية إثبات أن الملائكة يتكلمون ويفهمون ويعقلون لأنهم يسألون {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} ويجابون {قَالُوا الْحَقُّ} ودلت الآية كذلك أن لهم قلوباً يصيبها الخوف والوجل من الله ^(٢).

والملائكة تكلم الناس بحسب لغاتهم ولا يحتاجون إلى ترجمان كما حصل مع الأنبياء من بني إسرائيل وغيرهم وكما حصل مع نبينا محمد ﷺ.

- وهم يكلمون الناس في قبورهم كما هو معلوم في فتنة القبر.

- ويكلمون الناس يوم القيامة بالبشارة والندارة.

- ويكلمون أهل الجنة ويسلمون عليهم.

- ويكلمون أهل النار ويبشرونهم بالعذاب.

- والنصوص في هذه المعاني كثيرة مشهورة.

والحاصل أن من صفات الملائكة الجسدية الكلام وهي صفة كمال ولا شك فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به ووصفهم عليه السلام بذلك ^(٣).

٧ - جمال الملائكة:

خلقهم الله على صور جميلة كريمة، قال تعالى في جبريل: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} ^(٥) ذُورِمَرَةً فَاسْتَوَى ^(٦) { [النجم: ٥ - ٦].

(١) البخاري رقم ٣١٤٨، مسلم رقم ٢٨٤١.

(٢) القول المفيد لابن عثيمين (١/ ٣٩٥).

(٣) في الملائكة المقربين د. محمد عبد الوهاب عقيل ص ٧٥.

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

قال ابن عباس: {ذُو مِرَّةٍ} ذو منظر حسن، وقال قتادة: ذو خلق طويل حسن، وقيل: ذو قوة. ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك، انظر ما قالته النسوة في حق يوسف الصديق عندما رأينه: {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف: ٣١] ^(١).

٨ - للملائكة قدرات خارقة:

بما وضع الله فيهم من القدرات العجيبة فمنهم من يحمل عرش الرحمن كما قال تعالى: {وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} ^(١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ^(١٧) { [الحاقة: ١٦، ١٧].

ومنهم من ينفخ نفخة يصعق لها من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} ^(١٨) { [الزمر: ٦٨] ^(٢).

٩ - لا يملون ولا يتعبون:

فالملائكة الكرام يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره، بلا كلل ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال تعالى في وصف الملائكة: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ} ^(٢٠) { [الأنبياء: ٢٠]. ومعنى لا يفترون لا يضعفون ^(٣).

(١) دراسات في التفسير الموضوعي زاهر الألمعي ص ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٧.

١٠ - قدرة الملائكة على التمثل والتشكل:

مكن الله الملائكة من التصور بغير صورتهم التي خلقوا عليها وقد دلت النصوص الكثيرة على ظهور الملائكة عليهم السلام للأنبياء وغيرهم بصورة البشر، ومن ذلك قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} (٢٥) [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

وهؤلاء الضيوف أنفسهم ذهبوا إلى لوط عليه السلام فلما رآهم خاف وضاق صدره لما يعرف من فحش قومه وسوءهم، كما قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} (٧٨) [هود: ٧٧، ٧٨].

فقد تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر^(١).

وقال تعالى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا} (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} (١٩) [مريم: ١٦ - ١٩].

وهذا المرسل في هذه الآية هو جبريل عليه السلام كما سبق وأن الروح من أسمائه عليه السلام.

(١) في الملائكة المقربين ص ٧٦.

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

والشاهد هنا تمثله وتشكله في صورة البشر، قال ابن كثير رحمه الله: {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} أي: على صورة إنسان تام كامل^(١).

وقد سبق نزول جبريل عليه السلام بروح عيسى عليه السلام إلى مريم ونفخه هذه الروح في جيبها سبق هذا بشارة الملائكة لمريم في قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِبَشْرِكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} ٤٥ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٦ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٧} [آل عمران: ٤٥ - ٤٧].

وهذه الشارة كانت مشافهة لمريم من الملائكة ولكن النصوص لم تدل على كيفية هذه المشافهة وكيف كانت صورهم لما بشروها ومن من الملائكة بشر مريم بذلك ولكن النصوص تدل على أن الذي نزل بروح عيسى هو جبريل عليه السلام وأنه تمثل لها رجلاً سويًا ونفخ روح عيسى في جيبها^(٢).

وجاء في السنة وقائع كثيرة لتمثل الملائكة بشراً أشهرها حديث جبريل عليه السلام وفيه: ﴿بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد..﴾ وقال في آخره: ﴿يا عمر أتدري من السائل؟﴾ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: ﴿فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم﴾^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٥).

(٢) في الملائكة المقربين ص ٧٧.

(٣) البخاري (١ / ٢٧) رقم ٥٠.

الإيمان بالملائكة

فتمثل جبريل بصورة رجل شاب أسود الشعر بثياب بيضاء نظيفة وقد رآه الصحابة - رضي الله عنهم - بهذه الصورة فتعجبوا من نظافته مما يدل على أنه لم يقدم من سفر ومن عدم معرفتهم له لو كان من أهل المدينة وزال تعجبهم لما أخبرهم ﷺ أنه جبريل، وربما تمثل عليه السلام بصورة دحية الكلبي^(١)، كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنه - وفيه: وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية^(٢)، ودحية مشهور بجماله وتشبه جبريل به دليل على جمال جبريل عليه السلام^(٣)، وتمثل الملائكة بصورة البشر قد يحدث مع غير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فمن ذلك، حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: ﴿أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه﴾^(٤).

وقد يكون هذا التمثيل بصورة غير جميلة ابتلاءً وامتحاناً من الله لمن تمثلوا له، كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول: ﴿إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الإبل

(١) دحية الكلبي صحابي مشهور وأول مشاهده الخندق.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٧٨ مسند أحمد (٢ / ١٠٧).

(٣) في الملائكة المقربين ص ٧٩.

(٤) مسلم (٤ / ١٩٨٨) رقم ٢٥٦٧.

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

أو قال البقر، شك اسحاق - إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر - قال: فأعطي ناقة عشراء قال: فأعطي ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطي بقرة حاملاً، ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والداً فأنج هذا وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ عليه في سفري فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذك الناس فقيراً فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت».

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته الله.

فقال: ﴿أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسمخ على

صاحبيك»^(١).

ففي هذا الحديث دليل على تمثل الملائكة بصورة البشر وقد تكون هذه الصورة على صور شتى جميلة وقبيحة وعلى قدرتهم مخاطبة الناس بلغاتهم وفيه أن الملائكة قد تكلم غير الأنبياء وليس كل من كلمته الملائكة يعد نبياً^(٢).

ثانياً: أخلاق الملائكة:

١- كرام بررة:

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة، قال تعالى: {بِأَيِّدِي سَفَرَةٍ} ^(١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ [عبس: ١٥، ١٦].

أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم طاهرة كاملة ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد^(٣)، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران»^(٤).

والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والله عز وجل قد جعل ملائكته كذلك ورزقهم هذا الشرف العظيم لقربهم منه سبحانه وتعالى ولأنهم يقومون بمهام عظيمة لا يقوم بها إلا من اتصف بهذه الصفات،

(١) البخاري رقم ٣٢٧٧، مسلم رقم ٢٩٦٤.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٨١.

(٣) عالم الملائكة الأبرار د. عمر الأشقر ص ١٩.

(٤) البخاري (٤/ ١٨٢٢).

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

قال تعالى: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} [الأنبياء: ٢٦] أي جعلهم كراماً^(١).

٢- البر:

بالكسر، الخير والفضل، والبار: الصادق التقى، وهو خلاف الفاجر، وجمعه بررة^(٢). والبر التوسع في الخير وجمع بار أبرار وبررة، قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} [الانفطار: ١٣].

وقال في صفة الملائكة {كِرَامٌ بَرَرَةٌ} فبررة خص بها الملائكة في القرآن من حيث أنه أبلغ من أبرار فإنه جمع بر، وأبرار جمع بار، وبرُّ أبلغ من بار كما أن عدلاً أبلغ من عادل^(٣).

والبر يطلق على معنيين:

أحدهما: معاملة الخلق والإحسان إليهم.

الثاني: يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة^(٤).

والظاهر أن كلا المعنيين موجود في الملائكة عليهم السلام فهم محسنون في عبادتهم مطيعون لله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم محسنون لخلق الله محبون للمؤمنين وإحسانهم لبني آدم عظيم فجزاهم عنا أفضل الجزاء وأحسنه، ومن صور إحسانهم لنا^(٥):

أ - دعاؤهم واستغفارهم لنا:

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

(١) في الملائكة المقربين ص ٩٥.

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٤٣.

(٣) المفردات ص ٤١.

(٤) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٣٨.

(٥) في الملائكة المقربين ص ٩٦.

النُّورَ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ { [الأحزاب: ٤٣].

وهذا من أعظم الإحسان لنا، ودعاؤهم واستغفارهم سيكون له أثر عظيم في هدايتنا وثباتنا على الحق إن شاء الله.

وقال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾} [غافر: ٧ - ٩].

ب - ومن إحسانهم لنا شفاعتهم لأهل التوحيد يوم القيامة:

قال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨].

٣ - التواضع وعدم التكبر:

- قال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٧٢].

- وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾} [الأعراف: ٢٠٦].

- وقال تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾} [الأنبياء: ١٩].

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

والنصوص في هذا المعنى كثيرة^(١).

٤ - الحياء:

الحياء خلة شريفة وخلق عظيم يمنع صاحبه من ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليتها^(٢)، وهو من خصال الإيمان كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: ﴿الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان﴾^(٣).

ومما يدل على اتصاف الملائكة بهذا الخلق الشريف ما روى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوى ثيابه... فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ﴿ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟﴾^(٤).

٥ - النظام:

الملائكة منظمون في عبادتهم وقد حثنا الرسول ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك فقال: ﴿ألا تصفون كما تصف الملائكة؟﴾ قالوا: وكيف يصفون عند ربهم؟ قال: ﴿يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف﴾^(٥).

(١) المصدر نفسه ص ٩٨.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٩٩.

(٣) البخاري رقم ٩، مسلم رقم ٣٥.

(٤) مسلم (١٨٦٦ / ٤) رقم ٢٤٠١.

(٥) رواه الجماعة إلا البخاري نقلاً عن عالم الملائكة ص ٢٤.

الإيمان بالملائكة

وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة^(١).

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: ٢٢].

ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبا: ٣٨] والروح جبريل^(٢).

٦- يحبون ويبغضون:

فيحبون من أحبه الله تعالى، ويبغضون من أبغضه الله، كما دل على ذلك صحيح السنة، فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جَبْرِيلُ، قَالَ: ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ، فَقَالَ: يَا جَبْرِيلُ إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣).

٧- إهم يتأذون مما يتأذى منه ابن آدم:

كالروائح الكريهة، كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرات فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها فقال: ﴿مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمَتَّةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى

(١) صحيح مسلم، علم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٢٤.

(٢) عالم الملائكة الأبرار ص ٢٤.

(٣) مسلم رقم ٢٦٣٧، البخاري رقم ٦٠٤٠.

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية

مما يتأذى منه الإنس» ^(١).

٨- إثمهم لا يعلمون الغيب:

إلا ما أعلمهم الله تعالى، حيث كان جوابهم لربهم اعترافهم بعدم علمهم شيئاً لم يعلمهم الله تعالى إياه، قال تعالى: {قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢] ^(٢).

٩- إثمهم عباد الله، دائمو الطاعة والخوف منه:

لا يعصونه فيما أمر، كما أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره ومن بعد إذنه، قال تعالى مبيناً ذلك: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} ^(١٩) {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

فالملائكة ليسوا كالإنس، فليس لهم إرادة حرة أو مشيئة، كما أنهم لم يخلقوا للابتلاء، بل الحكمة من خلقهم: أنهم يعبدون الله ويسبحونه وله يسجدون ولكنهم مع ذلك مأمورون بالعبادة والطاعة، قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} ^(٥٠) [النحل: ٥٠].

(١) مسلم رقم ٥٦٤.

(٢) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٢.

الإيمان بالملائكة

فهم إذن مكلفون، ولكن تكليفهم يختلف عن تكليف الإنس والجن، فبينما الإنس والجن لهم خيار وتكليفهم ابتلاء، وقد يطيعون ويعصون ويغالبون أهواءهم وشهواتهم أو يتبعونها، ومن ثم يثابون على طاعتهم ويعاقبون على معصيتهم، فإن الملائكة لا خيار لها، لأنها جبلت على الطاعة، ولا استطاعة لها للمعصية، ومن ثم فإن عملهم وطاعتهم، كالتنفس والأكل والشرب بالنسبة للإنسان عليه فلا مثوبة لهم عليه، فهم يؤمرون فيطيعون، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (البقرة: ٣٤) (١).

* * *

(١) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٢.

المبحث الثالث

عدد الملائكة وأسماؤهم
وهل يموتون

أولاً: عدد الملائكة:

الملائكة الكرام من مخلوقات الله تعالى العظام التي لا يحصى عددها ولا يحيط بأوصافها إلا خالقها عز وجل، حيث قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١].

وقد ورد في كثرتهم ما يبهر العقل ويفوق الحصر، ومنه حديث المعراج المتفق على صحته: «إن البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»^(٢).

فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنم يوم القيامة أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملك^(٣)، وقد اتفقت كلمة أهل العلم على كثرتهم وأن عددهم لا يحصيه إلا خالقهم^(٤).

وقد سمع النبي ﷺ أطيظ^(٥) السماء من ثقل الملائكة وكثرتهم، فقال ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٦). فإذا علمنا أن

(١) البخاري رقم ٣٢٠٧.

(٢) مسلم رقم ٢٨٤٢.

(٣) عالم الملائكة الأبرار ص ١٦.

(٤) مجموع الفتاوى (٣٣٢ / ١٧).

(٥) الأطيظ: صوت الأقتاب أي: أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى سمع صوت يشبه صوت الرجل إذا حمل عليه الحمل الثقيل.

(٦) سلسلة الاحاديث الصحيحة للألباني رقم ١٠٦٠.

المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماؤهم وهل يموتون

السموات السبع قد ملأت بحيث لا نجد موضع أربع أصابع إلا وعليها ملك يعبد الله فهل يتخيل العقل بعد هذا عددهم^(١)، فسبحان من خلقهم وصرفهم وأحصاهم، قال تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۖ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

[مريم: ٩٣ - ٩٥].

ثانياً: أسماء الملائكة:

ورد تسمية الملائكة عليهم السلام في القرآن والسنة بعدة أسماء عامة وخاصة فمن أسمائهم العامة:

١ - الأسماء العامة:

أ - الأشهاد:

قال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} ﴿٥١﴾ [غافر: ٥١].

قال ابن كثير: الأشهاد الملائكة^(٢).

وقال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} ﴿١٨﴾ [هود: ١٨].

قال القرطبي: الأشهاد الملائكة^(٣).

ب - الملائكة الأعلى:

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٨٤).

(٣) تفسير القرطبي (٩ / ١٨).

الإيمان بالملائكة

قال تعالى: {لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ} [الصافات: ٨].

وقال تعالى: {مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ} [ص: ٦٩].

الملا الأعلى لا تطلق إلا على الملائكة^(١).

ج - الجنود:

قال تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا

لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [التوبة: ٢٦].

وقال تعالى: {إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا}

[التوبة: ٤٠].

وقال تعالى: {يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الأحزاب: ٩].

والآيات في هذا المعنى كثيرة وقد ذكر المفسرون - رحمهم الله - أن

الجنود الذين أنزلهم الله على المؤمنين وعلى رسوله ﷺ هم الملائكة^(٢).

والأحاديث الكثيرة تدل على أن الجنود التي لم يروها هي الملائكة، كما

في حديث حذيفة قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما

تفعل^(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: فلما رجع رسول الله ﷺ من

الخنق وضع السلاح فاغتسل فأتاه جبريل وهو ينفذ رأسه من الغبار

(١) في الملائكة المقربين ص ٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٩٢) إسناده صحيح.

المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماؤهم وهل يموتون

فقال: وضعت السلاح والله ما وضعناه^(١).

س - السفارة:

قال تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦} [عبس: ١٥، ١٦].

قال ابن جرير الطبري: والصحيح أن السفارة الملائكة، والسفرة يعني: بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال: السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي :: وما أمشي بغش إن مشيت^(٢)

ك - الرسل:

قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٧٥} [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّشَى وَتَلَتْ وَرُبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١} [فاطر: ١].

وقال تعالى: {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١} قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٣٢ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ ٣٣} [الذاريات: ٣١ - ٣٣]. فقد سمى الله الملائكة رسلاً في آيات كثيرة^(٣).

٢ - الأسماء الخاصة:

أ - جبريل:

قد جاء في النصوص الشرعية أن الملائكة أصناف كما ثبت أن لكل منهم

(١) مسلم (١٣٨٩ / ٣) كتاب الجهاد والسير.

(٢) تفسير ابن جرير (٥٤ / ٣٠)، في الملائكة المقربين ص ٣١.

(٣) في الملائكة المقربين ص ٣٠.

الإيمان بالملائكة

وظائف وأعمالاً، فوظيفة الملائكة الأولى التي تقوم بها في الجملة: تسبيح الله تعالى، والتعبد له ليلاً ونهاراً من غير ملل، ولا فتور وهناك ومن أشهر الملائكة وهو الموكل بالوحي وغير ذلك من الأعمال جبريل عليه السلام وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في عدة مواضع:

- قال تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: ٩٧].

- وقال تعالى: {وَإِنْ تَظْهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحَ الْمُؤْمِنِينَ} [التحريم: ٤].

وجاء اسمه في السنة كثيراً فهو الذي يجيء بالوحي إلى النبي ﷺ من أول يوم في غار حراء حتى آخر عمره - صلوات الله وسلامه عليه - وهو الذي صحبه في إسرائه ومعراجه وربما تمثل بصورة رجل فيكلم النبي ﷺ والصحابة ينظرون ويسمعون ولا يعرفونه حتى يخبرهم النبي ﷺ بذلك^(١)، وقد سماه الله بغير هذا الاسم في القرآن فمن أسمائه الشريفة:

- الروح:

قال تعالى: {تَنَزَّجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: ٤].

وقال تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبا: ٣٨].

وقال تعالى: {نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ} [القدر: ٤] قال

(١) المصدر نفسه ص ٣٥.

المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماؤهم وهل يموتون

القرطبي: والروح جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس^(١).

ومما يدل على أن المراد بالروح هنا جبريل أن الله عز وجل أضافه إلى نفسه في قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧].

- الروح الأمين:

قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} ١١٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

قال ابن كثير: هو جبريل عليه السلام، قاله غير واحد من السلف وهذا مما لا نزاع فيه^(٢).

- روح القدس:

قال تعالى: {وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَتِّتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [البقرة: ٨٧]. وقال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ١٠٢].

وهذا الاسم اسم مشهور في السنة حيث ذكره النبي ﷺ في دعائه لحسان - رضي الله عنه - عندما كان يرد عن النبي ﷺ، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله هل سمعت النبي ﷺ يقول: «يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم أيده بروح القدس»، قال أبو هريرة: نعم^(٣).

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن روح

(١) تفسير القرطبي (١٨ / ٢٨١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٤٧).

(٣) مسلم (٤ / ١٩٣٢) رقم ١٥٢.

القدس نفث في روعي^(١) أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته^(٢).

ومعنى القدس، أي الطاهر^(٣).

وقال الراغب: وقوله: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ} [النحل: ١٠٢]^(٤)، يعني به: جبريل من حيث أنه ينزل بالقدس من الله، أي: مما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي^(٥).

وقال الطحاوي: وقوله: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣] هو جبريل عليه السلام سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر - صلوات الله عليهم أجمعين - وهو أمين حق أمين صلوات الله عليه^(٦).

وقد كان لجبريل عليه السلام مع النبي ﷺ شأن عظيم فهو صاحبه في غار حراء في أول يوم من أيام نبوته وتمثل له رجلاً وكلمه، وراه في صورته التي خلقه عليها، وكان النبي ﷺ يتشوق للقاء جبريل ويطلب منه عدم التأخر في الزيارة ودارسه القرآن في كل رمضان وفي العام الذي مات فيه دارسه القرآن مرتين، إلى غير ذلك من الأعمال الشريفة العظيمة مما يدل على مكانته عند الله حتى قال غير واحد من العلماء: إنه عليه السلام

(١) الروح: نفسي وخلي.

(٢) صحيح الجامع للألباني (٢٠٩ / ١) رقم ٢٠٨١.

(٣) في الملائكة المقربين ص ٣٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧.

(٥) المفردات ص ٣٩٦.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٧.

المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماؤهم وهل يموتون

أفضل الملائكة وأعظمهم عند الله عز وجل^(١).

ب - ميكائيل:

من أعيان الملائكة ميكائيل عليه السلام ثبت هذا الاسم في القرآن والسنة كما قال تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} ﴿١٨﴾ [البقرة: ٩٨].

ومعنى ميكائيل معبد لله، أي: عبد الله أو عبيد الله^(٢).

ج - إسرافيل:

لم يرد اسم إسرافيل عليه السلام في القرآن الكريم وإنما ورد في السنة في أحاديث صحيحة منها حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: ﴿اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم﴾^(٣)، والمشهور عند المفسرين أن إسرافيل عليه السلام موكل بالنفخ في الصور، والصور القرن ينفخ إسرافيل وقد ورد ذكر الصور في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} ﴿١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} [النمل: ٨٧].

وقال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ} ﴿٢٠﴾ [ق: ٢٠].

(١) في الملائكة المقربين ص ٣٩، ٤٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١.

(٣) في الملائكة المقربين ص ٤٤.

والنفخ في الصور ثلاث نفخات:

- نفخة الفرع.

- نفخة الصعق والموت لمن لم يمت.

- نفخة القيام لرب العالمين.

ورجح بعض العلماء أنهما نفختان فقط^(١).

ولا يوجد حديث واحد صحيح ينص على أن الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام مع كثرة الأحاديث التي تحدثت عن النفخ وعدد النفخات وصفة الصور وصفة الملك الذي ينفخ فيه.

ولقد صح ولكن بدون ذكر إسرافيل من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «وكيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ»^(٢).

وقد جمع النبي ﷺ في دعائه المتقدم بين جبريل وميكائيل وإسرافيل مما يدل على عظم هؤلاء الثلاثة عليهم السلام ومكانتهم عند الله وضخامة ما وكلهم الله به^(٣).

٣ - مالك خازن النار:

قال تعالى: {وَنَادُوايَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكَوْنٍ} [الزخرف: ٧٧].

يقول تعالى ذكره: ونادى هؤلاء المجرمون بعدما أدخلهم الله جهنم فنالهم فيها من البلاء ما نالهم مالكا خازن جهنم {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}

(١) المصدر نفسه.

(٢) مسند أحمد (١٧ / ٨٩) رقم ١١٠٣.

(٣) في الملائكة المقربين ص ٤٦.

قال ليمنتنا ربك^(١).

٤ - ملك الموت:

قال تعالى: {قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة: ١١].

وقال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ} [الأنعام: ٦١].

٥ - منكر ونكير:

جاء هذان الاسمان في أحاديث فتنة القبر - نعوذ بالله منها - فمن ذلك عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل»^(٢).

٦ - هاروت وماروت:

اسمان لملكين كريمين نسجت حولهما قصص وأساطير كثيرة أكثرها أخذت من أهل الكتاب، وقد ورد ذكرهما في القرآن في قوله تعالى: {وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَنْتَعِلُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ

(١) تفسير ابن جرير (٩٨ / ٢٥).

(٢) سنن الترمذي (٢ / ٢٦٧)، وقال الألباني في تخريج المشكاة: وسنده حسن وهو على شرط مسلم.

أَشْرَبَهُ مَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

ملكان أنزلا إلى الأرض فتنة للناس وكانا يحذران من جاءهما ليتعلم منهما ما نزلا به^(١).

وقد نسجت حولهما في كتب التفسير أساطير كثيرة لم يثبت شيء منها في الكتاب والسنة، فيكتفي في معرفة أمرهما بما دلت عليه الآية الكريمة^(٢).

٧ - الأسماء المنسوبة للملائكة ولم تصح تسمية الملائكة بها:

أ - عزرائيل:

وقد جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل ولا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسمية بهذا الاسم^(٣).

ب - رقيب وعتيد:

يذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾^(١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(١٨) { [ق: ١٧، ١٨].

وما ذكروه غير صحيح فالرقيب والعتيد هنا وصف للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد، ومعنى رقيب وعتيد أي ملكان حاضران شاهدان لا يغيبان عن العبد، وليس المراد أنهما اسمان للملكين^(٤).

(١) في الملائكة المقربين ص ٥٠.

(٢) عالم الملائكة الأبرار ص ٨٨.

(٣) المصدر نفسه ص ١٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٨.

المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماؤهم وهل يموتون

ثالثاً: موت الملائكة:

قال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} (٦٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السماوات إلا ما شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبداً^(١).

وقال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨].

فالملائكة تشملهم الآية لأنهم في السماء يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذه هي النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: لله الواحد القهار^(٢)، فالملائكة مثل الإنس والجن يموتون ويبعثون، وهل يموتون قبل النفخ في الصور مثل الإنس والجن أم أن موتهم يبدأ بالنفخ في الصور؟ لم يرد دليل في هذا، والأولى عدم الخوض فيه، والله أعلم.

رابعاً: رؤية الملائكة:

دلت النصوص على أن النبي ﷺ رأى جبريل بصورته التي خلقه الله

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٢).

(٢) عالم الملائكة الأبرار ص ١٩.

الإيمان بالملائكة

عليها مرتين وكان يراه كثيراً متمثلاً بصورة رجل وكان كثيراً ما يتمثل بصورة دحية الكلبي وربما رآه النبي ﷺ وكلمه وعنده بعض أصحابه وزوجاته ولا يرونه، كما ثبت ذلك في حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال لها: ﴿يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام﴾، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى^(١).

وربما رآه أصحابه - رضي الله عنهم - كما صح أنهم رأوه بصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر كما هو ثابت في حديث جبريل المشهور وغيره ولكن ينبغي أن يحذر الإنسان فربما لبس عليه شيطان وظن أنه ملك^(٢).

أما رؤيتهم على صورتهم التي خلقهم الله عليها فظاهر النصوص تدل على أنهم لا يُرون، وإذا كان النبي ﷺ لم ير جبريل على صورته إلا مرتين وهاله عظم خلقه فلأن لا يراه من غيره من باب أولى^(٣)، وقد تدنو الملائكة من الإنسان في حالات وقد يشعر بوجودها ولكنه لا يراها ولا يبصرها وإن كان يرى أثر وجودها كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥].

فملك الموت وأعوانه يحضرون الميت والناس كذلك يحضرون والمؤمن يعلم قطعاً أن ملك الموت يقبض روح الميت لكنه لا يراه وإن رأى أثره

(١) مسلم رقم ٢٤٧٤، في الملائكة المقربين ص ١٩.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٨٦.

(٣) في الملائكة المقربين محمد عقيل ص ٨٦.

المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماؤهم وهل يموتون

وهو موت الرجل^(١).

ومن ذلك حديث أسيد بن حضير - رضي الله عنه - قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما اجتريه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: ﴿اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير﴾ قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها. قال: ﴿وتدري ما ذاك؟﴾ قال: لا. قال: ﴿تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم﴾^(٢)، فالاختفاء إذاً هو عادة الملائكة لكنهم قد يظهرون ولكن بغير صورتهم التي خلقهم الله عليها كما ظهروا هنا لأسيد بن حضير - رضي الله عنه - في الظلة لكنه لم يرههم.

وأما قول النبي ﷺ: ﴿ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى عنهم﴾ ففيه جواز رؤيتهم لكن الله عز وجل لم يأذن بها، ولذلك جالت الفرس وقطعت قراءة أسيد، وحضور الملائكة مجالس الذكر وشهودها صلاة العصر وصلاة الفجر وغير ذلك أمر معلوم لكن أسيد بن حضير رأى هنا ما لا يراه الناس في صلاة الفجر والعصر ومجالس الذكر وهو مع ذلك لم يعلم أنها ملائكة إلا بخبر النبي ﷺ لأنه لم ير صورها وإنما

(١) المصدر نفسه ص ٨٧.

(٢) مسلم رقم ٧٩٦.

رأى مصابيح في ظلة^(١).

ومنها حديث حنظلة الأسدي - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار، قال: ثم جئت إلى البيت فضاحت الصبيان ولاعبت المرأة قال: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر فلقيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، نافق حنظلة. فقال: ﴿مه﴾ فحدثته بحديث فقال أبوبكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل. فقال: ﴿يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق﴾^(٢).

والذي نفهمه من هذا الحديث أن رؤية الناس للملائكة ممكنة بشرط أن تكون قلوبهم كقلوب الصحابة - رضي الله عنهم - حال استماعهم لموعظة النبي ﷺ وإذا كان الصحابة - رضي الله عنهم - وهم في الإيمان في المحل الأعلى لا يستطيعون الاستمرار على هذه الحالة فغيرهم ممن هو دونهم من باب أولى وعند ذهاب الشرط يذهب المشروط فعلم أن رؤية الملائكة على صورتهم التي خلقهم الله عليها مستحيلة للناس في الدنيا، ولم تقع في هذه الأمة إلا لنبيينا محمد ﷺ مرتين^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإنه رأى شيطانا﴾^(٤)، وفيه أن الديكة ترى الملائكة ولا نعلم كيف تراها وبأي

(١) في الملائكة المقربين ص ٨٨.

(٢) مسلم رقم ٢٧٥٠.

(٣) في الملائكة المقربين ص ٨٩.

(٤) فتح الباري على البخاري (٦/ ٣٥٠).

المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماؤهم وهل يموتون

صورة تراها، فنحن نقول كما جاء في الحديث والله أعلم^(١).

ولقد طلب الكفار من النبي ﷺ آية على صدقه وهي رؤية الملائكة أو رؤية الله فأجابهم الله بقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا} ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾} [الفرقان: ٢١ - ٢٢].

وأما رؤية الملائكة عليهم السلام في المنام فهي ممكنة وقد وقعت للنبي ﷺ، ورؤيا الأنبياء حق وقد عدها العلماء مرتبة من مراتب الوحي^(٢).

فمن حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - وفيه قال رسول الله ﷺ: «إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قال لي: انطلق... وفيه انطلقنا فأتينا على رجل كرهه المرأة كأكره ما أنت راء رجلاً امرأة فإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها... قال في آخره:» وأما الرجل الكرهه المرأة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم»^(٣).

وقد رأى النبي ﷺ الملائكة هذه المرة بصورة الرجال أيضاً، كما جاء ذلك مصرحاً به عند البخاري في باب بدء الخلق: وأنه رأى جبريل وميكائيل ومالك بصورة رجال^(٤).

ومن ذلك حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «رأيتك قبل أن أتزوجك مرتين رأيت الملك يحملك في سرقة حرير فقلت له: اكشف فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه، ثم

(١) في الملائكة المقربين ص ٩٠.

(٢) فتح الباري (١/٢٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٧/٢٩٧).

(٣) البخاري رقم ٧٠٤٧.

(٤) البخاري رقم ٣٠٦٤.

الإيمان بالملائكة

رأيتك يحملك في سرقة حرير فقلت: اكشف فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه»^(١).

وقد وقعت رؤية الملائكة في المنام لغير النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -...: فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع، فقصصتها على حفصة فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً»^(٢).

وهذا الحديث يدل على إمكانية رؤية الملائكة في حال النوم لغير النبي ﷺ ولكن ينبغي أن يعلم أن هذه الرؤية ليست مصدر تشريع وإنما هي كغيرها إما مبشرات أو محذرات، أو من وساوس النفس، أما أن تتخذ مصدر تشريع فهذا خطأ واضح^(٣).

* * *

(١) مسلم رقم ٢٤٣٨.

(٢) البخاري (١/ ١٠٧٠) في التهجد، باب فضل قيام الليل.

(٣) في الملائكة المقربين ص ٩٢.

المبحث الرابع

عبادة الملائكة

الإيمان بالملائكة

الملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لهم القدرة على العصيان، قال تعالى: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦].

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة لأنه لا شهوة لهم وهم مأمورون بالعبادة والطاعة، قال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل: ٥٠].

وفي الآية يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو أعلى أنواع العبودية كما قال تعالى فيهم: {وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٢٨] (١).

وقد دلت النصوص الشرعية على عصمة الملائكة من الذنوب، فمن ذلك قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} (٢٦) لَا يَسْـَٔفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

وقال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًى أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: ٦].

فالملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بالخدمة منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون وهم لا يفعلون إلا ما

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ٢٩.

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم وهم مكلفون بطاعته، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف ببسر وسهولة.

ومن بعض هذه العبادات^(١):

أولاً: إيمانهم بالله عز وجل وشهادتهم بالتوحيد:

فالملائكة يؤمنون بالله عز وجل إيماناً كاملاً، ويشهدون أنه لا إله إلا هو سبحانه ويخضعون لأوامره تعالى، كما يؤمنون به سبحانه وبأسمائه وصفاته وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا:

١- قال تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ} [آل عمران: ١٨].

٢- وقال تعالى: {لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء: ١٦٦].

فقد شهدوا على صدق الوحي وأنه منزل من عند الله العزيز الحكيم.

٣- وعن إيمانهم بأسماء الله تعالى وصفاته، فيقول الله تبارك وتعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢].

٤- وقال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر: ٧]^(٢).

ثانياً: تسبيح الملائكة لله تعالى:

تكرر في الكتاب والسنة ذكر تسبيح الملائكة في صور متنوعة وبعبارات مختلفة منها:

(١) المصدر نفسه ص ٣٠.

(٢) عبودية الكائنات لرب العالمين فريد إسماعيل التوني ص ٣٥٦.

١ - تسبيحهم على الدوام بلا انقطاع:

أ - قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: ٢٠٦].

يعني بهم: الملائكة. وهذه العبودية تعني قربهم من الله تعالى ورفعة منزلتهم على غيرهم من المخلوقات ثم وصفهم الله تعالى - في هذه الآية - بثلاثة أوصاف:

أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى، وأنهم يسبحونه، وأنهم يسجدون له، وهذه الأوصاف دالة على كمال عبوديتهم لله تعالى، حيث قد اجتمعت لهم العبادة القلبية والقولية والبدنية، فعدم الاستكبار عبادة قلبية عنها تنشأ العبادة القولية والبدنية^(١)، والتسبيح هو ذكرهم الله تعالى وتنزيههم إياه عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته وهو عبادة كائنة بالقلب - وهي اعتقاد التنزيه - وباللسان - وهي قول: سبحان الله ونحوه من الذكر، وبالجوارح، كالصلاة - مثلاً.

والسجود عبادة بدنية تتضمن الخضوع والذل لله العلي العظيم، وتقديم الجار والمجرور في قوله: {وَلَهُ يَسْجُدُونَ} إيذان باختصاص سجودهم لله تعالى وحده دون غيره^(٢).

ب - قال تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} [١٩] {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

(١) البحر المحيط (٤/ ٤٥٠) لأبي حيان.

(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٥٠) لأبي حيان.

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

فقوله - هنا - {وَمَنْ عِنْدَهُ} يعني الملائكة^(١)، كما في الآية السابقة، وقد تضمنت هذه الآية بيان أن الملائكة زيادة على عدم استكبارهم عن عبادة الله {وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} أي: لا يتعبون ولا يملون^(٢)، ولهذا فهم {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} وهذا كالبيان لقوله: {وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} لأن من يحب أمراً ولا يتعب منه، لا يتركه ولا يمل منه بل يواظب عليه^(٣)، والملائكة كذلك يحبون تسبيح الله تعالى، فهم دائبون عليه ليلاً ونهاراً، لا يلحقهم كلال ولا إعياء، ولا يشغلهم التسبيح عن تدبير ما وكلوا به من أمور الخلق^(٤).

ج - قوله تعالى: {فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} {٣٨} [فصلت: ٣٨].

وهذه الآية في معنى الآيتين السابقتين فقوله: {لَا يَسْأَمُونَ} كقوله: {لَا يَفْتُرُونَ}^(٥).

وجميع هذه الآيات دالة على قوة الملائكة وكمال حياتهم، وشدة الداعي القوي منهم إلى تسبيح الله تعالى وملازمته، فلا يلحقهم فيه فتور ولا سامة ولا يشغلهم عنه شاغل^(٦).

٢ - تسبيح حملة العرش والحافين من حوله من الملائكة:

أ - قال تعالى: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {٧٥} [الزمر: ٧٥].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٨٤).

(٢) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٤) د. محمد كندو.

(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/ ٣٦).

(٤) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٤).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٧٥).

(٦) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٤٥).

الإيمان بالملائكة

وهذه الآية ذكرت بعد ذكر أحداث يوم القيامة وما يقع فيه من القضاء بين العباد، وتوفية كل نفس ما عملت، وإدخال أهل الجنة وأهل النار كلا في المحل الذي يستحقه ويليق به. فقوله: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ} أي: في ذلك اليوم العظيم {خَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ} أي: محذقين محيطين بالعرش^(١)، {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} أي: يمجّدونه ويعظمونه ويقدّسونه وينزهونه عن الجور وعن كل ما لا يليق بجلاله^(٢)، {وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وهذا إخبار عن حمد الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين، عقيب قضائه بالحق بين الخلائق ولهذا حذف فاعل الحمد في قوله: {وَقِيلَ} لإفادة العموم والإطلاق حتى لا يسمع إلا حامد لله تعالى من أوليائه ومن أعدائه ومن جميع مخلوقاته^(٣)، كما قال الإمام الحسن البصري: لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم، ما وجدوا عليه حجة ولا سبيلاً^(٤).

ب - قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر: ٧].

وفي هذه الآية ذكر الله تعالى صنفان من ملائكته المسبحة بحمده، وهما: الملائكة الذين يحملون العرش، والملائكة الذين يطوفون حول العرش، ثم أخبر تعالى عنهم جميعاً بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنهم {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} وهذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٥ / ٤).

(٢) المصدر السابق (٧٥ / ٤).

(٣) التسييح في الكتاب والسنة (٢٧٩ / ١).

(٤) المصدر نفسه (٢٧٩ / ١).

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

تعالى، وخصوصاً التسبيح والتحميد وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره وحمد له، بل الحمد هو العبادة لله تعالى^(١).

الأمر الثاني: أنهم {وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} أي: يقرون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته^(٢).

الأمر الثالث: أنهم {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} أي: يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، ممن آمن بالغيب، وأقر بمثل إقرار الملائكة من توحيد الله تعالى والبراءة من كل معبود سواه^(٣).

وهذا من جملة فوائد الإيمان وفوائده الكثيرة أن الله تعالى قيض ملائكته المقربين الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان من البشر، ويدعون لهم بظهر الغيب، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم^(٤).

وقوله تعالى: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر: ٧] هو بيان لصفة دعائهم للمؤمنين وكذا الآيتان المذكورتان بعدهما، وتخصيص هذين الصنفين من الملائكة بالذكر في الموضعين السابقين دليل على ما لهما من شأن عظيم، إذ اختارهم الله تعالى لحمل عرشه العظيم والطواف من حوله، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم وأقربهم منه سبحانه وتعالى^(٥).

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٩).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤١)، التسبيح في الكتاب (١/ ٢٧٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٨).

(٤) تيسير الكريم المنان للسعدي ص ٧٣٢.

(٥) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٠)، تفسير البغوي (٧/ ١٣٩).

٣- تمجدح الملائكة بتسبيحهم لله تعالى:

أ - قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [البقرة: ٣٠].

{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} يتضمن تمدهم بتسبيحهم وتقديسهم لله تعالى^(١).

ب - وقال تعالى - حكاية لقول الملائكة: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾} [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦].

وفي هذا تمجدح بوقفهم صفوفاً في السماء لعبادة الله تعالى وبتسبيحهم لله تعالى، وقد أقسم الله تعالى بهم في قوله سبحانه: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾} [الصافات: ١].

فأما الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء^(٢).

وقولهم: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} وقال ابن كثير في تفسير الآيتين: أي: نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له فقراء إليه، خاضعون لديه^(٣).

٤- تسبيح الملائكة لكلام الله تعالى وقضائه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٧).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٧٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦).

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ﴿ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟﴾ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى -أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون﴾^(١).

فهذا الحديث يبين أن الملائكة يسبحون الله تعالى إذا قضى أمراً، أي: إذا تكلم بأمره الذي قضاه مما يكون، وفي ذلك إشارة إلى أن هذا التسبيح للتنزيه، والتعظيم والخضوع لكلام الله تعالى وقضائه بما شاء أن يكون من الأمور، فإنه سبحانه لا يقول إلا الحق، ولا يقضي إلا بالحق^(٢).

وقد جاء تأكيد هذا المعنى في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: ﴿إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: كأنه سلسلة على صفوان^(٣)، فإذا فزع عن قلوبهم^(٤)﴾، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو

(١) مسلم رقم ٢٢٢٩، يقرفون: يخلطون فيه الكذب.

(٢) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٢).

(٣) الصفوان: الحجر الأملس.

(٤) فزع عن قلوبهم: أزيل عن قلوبهم الخوف.

العلي الكبير» (١).

وهذا كله يبين أن لكلام الله تعالى بالقضاء أو الوحي وقعاً عظيماً على الملائكة، يخرون لذلك سجداً لله تعالى، ويسبحون تنزيهاً وتعظيماً وخضوعاً له سبحانه (٢).

٥- افتتاح الملائكة في كلامها مع الله بالتسبيح:

ومن تسبيح الملائكة لله تعالى أيضاً أنهم إذا تكلموا معه سبحانه افتتحوا كلامهم بالتسبيح له وذلك في مقامات دل عليها كتاب الله تعالى من هذه المقامات:

أ - قوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (٣٢) [البقرة: ٣١ - ٣٢].

وهذا مقام بين الله تعالى فيه شرف آدم للملائكة بما فضله به من علم أسماء كل شيء من أصناف المخلوقات (٣).

ثم عرض تعالى تلك الأشياء على الملائكة قائلاً: {أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. وقد علم تعالى أنه لا علم لهم بذلك، وإنما سألهم ليريه عجزهم، وأنه قد خلق من خلقه من هو أعلم منهم بتعليمه إياه (٤)، فأجاب الملائكة قائلين: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، أي: تنزيهاً لك أن نعلم شيئاً إلا ما علمتنا إياه، فإنك أنت العليم بكل شيء

(١) البخاري رقم ٢٢٢٩.

(٢) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٧٦).

(٤) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٣).

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

من غير تعليم، وأنت الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك، ما تشاء لمن تشاء، لك الحكمة العليا والعدل التام في ذلك^(١).

والشاهد: أنهم بدأوا كلامهم مع الله تعالى في هذا المقام بالتسبيح وهذا أدب منهم وتعظيم لذي الجلال والإكرام والعظمة المطلقة^(٢).

ب - قال تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} (٤١) [سبأ: ٤٠ - ٤١].

وهذا تقرير للمشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق حين يحشرهم الله تعالى جميعاً، ثم يسأل الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يتخذونهم آلهة من دون الله، فيقول تعالى للملائكة: {أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم^(٣)، فيجيب الملائكة - متبرئين من عبادة المشركين - " قَالُوا: {سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ}، اففتحوا جوابهم بالتسبيح لله تعالى، أي: تنزيهاً لك أن يكون معك شريك في العبادة، فنحن عبيدك مفتقرون إلى ولايتك فلا نتخذ ولياً من دونك، ونبرأ إليك من هؤلاء المشركين^(٤).

وهذا يعني أن الملائكة لم يأمرهم بذلك - وحاشاهم - وإنما أمرهم بذلك الشياطين من الجن^(٥)، ولهذا قالوا: {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٨٣).

(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٤١٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥٠).

(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٢).

(٥) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٤).

مُؤْمِنُونَ} ^(١).

٦- حال الملائكة في تسبيحهم لله تعالى:

ومما يبين حال الملائكة في تسبيحهم لله تعالى قوله عز وجل: {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الشورى: ٥].

ومعنى: {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} أي: قاربت السماوات على عظمها وكونها جماداً - أن يتشققن ويتصدعن ^(٢). ومعنى: {فَوْقِهِنَّ} أي: كل سماء تنفطر فوق التي تليها ^(٣) وللعلماء في سبب مقاربة السماوات للنفطر - في هذه الآية - وجهان كلاهما يدل له قران:

الوجه الأول: أن المعنى {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} خوفاً من الله تعالى وهيبة وإجلالاً، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى - قبله - {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [الشورى: ٤]، لأن علوه عز وجل وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تنفطر وعلى هذا الوجه فقوله - بعده - {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} مناسبتة لما قبله واضحة، لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه تعالى والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة، فهم يسبحون بحمد ربهم أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله مع إثباتهم له كل كمال وجلال - خوفاً منه وهيبة وإجلالاً.

الوجه الثاني: أن المعنى: {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والارض جلا وعلا من كونه اتخذ

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٨٤).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٤١٣).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٤١٤)، التسييح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٧).

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهذا الوجه جاء موضحاً في قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} ٨٨ {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا} ٨٩ {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا} ٩٠ {أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} ٩١ {وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} ٩٢ {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} ٩٣ { [مريم: ٨٨ - ٩٣].

وغاية ما في هذا الوجه أن آية الشورى هذه فيها إجمال في سبب تفرط السماوات، وقد جاء ذلك موضحاً في آية مريم المذكورة، وعليه فمنااسبة قوله تعالى: {وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [الشورى: ٥] لما قبله أن الكفار وإن قالوا أعظم الكفر وأشنعه، فإن الملائكة بخلافهم، فإنهم يداومون ذكر الله وطاعته، كما قال تعالى: {فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} ٣٨ { [فصلت: ٣٨].

وكلا الوجهين المذكورين حق، غير أن الوجه الأول هو المقصود هنا، فمنه يتبين حال الملائكة في تسبيحهم لله تعالى، أنهم لشدة خوفهم من الله وهيبته وإجلالهم له يسبحون بحمده على الدوام بلا انقطاع، وقوله تعالى - في هذه الآية الكريمة -: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} لخصوص الذين آمنوا منهم، كما أوضحه الله بقوله تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر: ٧].

وقوله تعالى - في ختام الآية -: {إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الشورى: ٥] أكد فيه أنه هو وحده المختص بغفران الذنوب وإيجاد الرحمات، وذلك بذكر حرف الاستفتاح {إِلَّا} وحرف التوكيد {إِنَّ} المقتفين للتوكيد، وضمير الفصل {هُوَ} المقتضى للحصر^(١)، وبجميع ما سبق ذكره في هذا المطلب

(١) التسييح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٩).

الإيمان بالملائكة

من الآيات والأحاديث والآثار يتجلى مقام الملائكة في التسبيح، وأنهم في هذه العبادة العظيمة متميزون عن غيرهم من العالمين^(١).

ثالثاً: دعاء الملائكة للمؤمنين:

دلت النصوص من الكتاب والسنة على دعاء الملائكة للمؤمنين وهو إما دعاء عام أو دعاء خاص بسبب أفعال صالحة مخصوصة فمن دعائهم العام قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣].

قال ابن كثير: وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار^(٢).

وأما دعاؤهم الخاص، فقد وردت نصوص تدل على دعائهم بالخير لمن عمل بعض الأعمال الخاصة، فمن ذلك:

١ - دعاؤهم لطالب العلم ومعلمه:

قال رسول الله ﷺ: ﴿من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف البحر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر﴾^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٦).

(٣) صحيح جامع بيان العلم لأبي الأشبال الزهيري رقم ٦١.

في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»^(١).

٢- الدعاء لمنتظر الصلاة ولمن جلس في المسجد بعد الصلاة:

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة وتقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، حتى ينصرف أو يحدث»^(٢).

٣- دعاؤهم للذين يصلون الصفوف ويسدون الفرج:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ومن سد فرجه، رفعه الله بها درجة»^(٣).

٤- دعاؤهم لأهل الصفوف المتقدمة في الصلاة:

قال رسول الله ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف ويتراصون في الصف»^(٤).

٥- دعاؤهم للمنفق ماله في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٥).

٦- دعاؤهم لمن صلى على النبي ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما صلى

(١) صحيح جامع بيان العلم لأبي الأشبال الزهيري رقم ٦٥.

(٢) مسلم (١/ ٤٤٩ - ٤٥٠) كتاب المساجد.

(٣) صحيح الجامع للألباني (١/ ١٣٥)، رقم ١٨٣٩.

(٤) مسلم (١/ ٣٢٢) رقم ٤٣٠.

(٥) البخاري (٣/ ٣٠٤) رقم ١٤٤٢.

عليّ، فليقلل العبد من ذلك أو يكثر»^(١).

٧- دعاؤهم للمتسحرين:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»^(٢).

٨- دعاؤهم للصائم إذا أكل عنده المقاطر:

عن أم عمارة ابنة كعب الأنصارية أن النبي ﷺ دخل عليها، فقدمت إليه طعاماً فقال: «كلي»، فقالت: إني صائمة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا وربما حتى يشبعوا»^(٣).

٩- تأمينهم على دعاء من حضر عند المريض أو الميت:

فعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»^(٤).

١٠- تأمينهم على من يدعو لأخيه المسلم:

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثله»^(٥).

١١- دعاؤهم بالسلام على جنبي الصراط:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: ذكر رسول الله ﷺ الشفاعة فقال: «إن الناس يعرضون على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب يخطف

(١) صحيح الجامع (١/ ١٧٤) رقم ٥٦٢٠.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٦٥٤.

(٣) سنن الترمذي (٢/ ١٤١) رقم ٧٨٢.

(٤) مسلم (٢/ ٦٣٣) رقم ٩١٩.

(٥) مسلم (٢/ ٢٠٩٤) رقم ٢٧٣٢.

الناس، وبجنتيه الملائكة يقولون: اللهم سلم سلم^(١).

رابعاً: دعاء الملائكة على الكفار وعلى أقوام بسبب أعمال سيئة:

وكما تدعو الملائكة للمؤمنين وتصلي عليهم وتستغفر لهم، فإنها تبغض الكفار وتلعنهم وتنزل من السماء لعقابهم وتكون عوناً للمؤمنين عليهم، كما وقع في غزوات النبي ﷺ والنصوص من الكتاب والسنة كثيرة في هذا الموضوع^(٢).

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [البقرة: ١٦١].

وقال تعالى: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ٨٦ {أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [آل عمران: ٨٦، ٨٧].

وهذا اللعن من الملائكة والعياذ بالله يصحب صاحبه إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} ١٨ {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [هود: ١٨، ١٩].

والأشهاد هنا هم الملائكة، وقيل: هم الملائكة والأنبياء والرسل وسائر البشر والجان، والشاهد أن الملائكة يلعنون الكفرة يوم القيامة

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٦ / ٣) إسناده صحيح.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١١٤.

والعياذ بالله^(١).

قال القرطبي: الأشهاد الملائكة الحفظة، وذكر ذلك عن مجاهد والأعمش وغيرهما^(٢).

وهم كذلك يلعنون أهل النار يوم القيامة بعد تقرير أهل الجنة لهم كما قال تعالى: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾} [الأعراف: ٤٤].

قال القرطبي: {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ} أي: نادى وصوت مؤذن من الملائكة^(٣). وقد ورد كذلك أن الملائكة تدعوا بالعذاب والغضب على أقوام بسبب أعمال سيئة، فمن ذلك:

١ - دعاؤهم على المحدث في المدينة:

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث ومن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل»^(٥).

(١) المصدر نفسه ص ١١٤.

(٢) تفسير القرطبي (١٨ / ٩).

(٣) المصدر نفسه (٧ / ٢٠٩).

(٤) البخاري (٢ / ٦٦١) رقم ١٧٦٨، مسلم رقم ١٣٦٦.

(٥) العدل: القربة وقيل الفريضة، والصرف: التوبة أو النافلة.

ولا صرف^(١).

والحدث: الأمر المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة، والمحدث ما يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر من نصر أو آواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضا والصبر عليه فإنه من رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه. وفيه الحديث: ﴿إياكم ومحدثات الأمور﴾، جمع محدثة - بالفتح - وهي ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع^(٢).

٢- لعنهم من سب أصحاب النبي ﷺ :

قال رسول الله ﷺ: ﴿من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾^(٣).

٣- لعنهم من أشار بالسلاح على مسلم:

قال رسول الله ﷺ: ﴿من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه﴾^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار﴾^(٥).

٤- لعنهم من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه:

(١) مسلم رقم ١٣٦٦.

(٢) النهاية لابن الأثير (١/ ٣٥١).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ١٤٢) رقم ١٢٧٠٩ إسناده حسن.

(٤) مسلم (٤/ ٢٠٢٠) رقم ٢١٦١.

(٥) مسلم رقم ٢٦١٧.

الإيمان بالملائكة

قال رسول الله ﷺ: «من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «من تولى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف»^(٢).

٥- لعنهم من حال بين ولي المقتول وبين القاتل أو الدية:

قال رسول الله ﷺ: «من قتل في عمية أو عصبية بحجر أو سوط أو عصا فعليه عقل الخطأ ومن قتل عمداً فهو قود ومن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله عنه صرفاً ولا عدلاً»^(٣).

٦- لعنهم المرأة التي تهجر فراش زوجها:

قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح»^(٤).

٧- تركهم الصلاة على النائحة:

قال رسول الله ﷺ: «لا تصلي الملائكة على النائحة ولا على مرنة»^(٥).

خامساً: ولاء الملائكة للمؤمنين:

١- فمن ذلك استغفار الملائكة ودعائهم للمؤمنين، قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

(١) سنن ابن ماجه، ك الحدود رقم ٢٦٠٩ صححه الألباني.

(٢) مسلم رقم ١٥٠٨ ك العتق.

(٣) صحيح الجامع (٣٣٦ / ٥) رقم ٦٣٢٦.

(٤) البخاري رقم ٤٨٩٧ ك النكاح.

(٥) مرنة: الصائحة على الميت، نقلاً عن الإمام أحمد في مسنده (٣٦٢ / ٢) إسناده حسن.

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {

[غافر: ٧ - ٩].

٢- وتقوم بتبشير المؤمنين بالجنة في الدنيا عند موتهم والسلام عليهم في الآخرة عند دخولهم الجنة، فأما في الدنيا فكما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠].

فيخبر الله تعالى بأن الملائكة تنزل على المؤمنين الصادقين عند الموت وتقول: لا تخافوا مما تُقدموا عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإننا نخلفكم فيه، كما يبشرونهم بالجنة التي وعدوا بها^(١).

٣- وأما في الآخرة فكما قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: ٧٣].

٤- ومن مظاهر ولاء الملائكة لأهل طاعة الله تعالى: نصرتهم وتأييدهم للمؤمنين في القتال وقد حدث ذلك في بعض غزوات النبي ﷺ فقال: {إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: ١٢].

سادساً: براءة الملائكة من أهل الكبائر والمعاصي وبغضهم لأئمة الكفر:

(١) عبودية الكائنات لرب العالمين ص ٣٦٠.

الإيمان بالملائكة

وأما عن براءتهم من أهل الكبائر والمعاصي فيظهر ذلك كثيراً في آيات القرآن والأحاديث الشريفة، وأول هؤلاء هم أهل الكفر والشرك لأنه أكبر الكبائر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [البقرة: ١٦١].

فرعون، عليه لعنة الله، لما تجرأ على مقام الألوهية واستكبر على مقام العبودية وقال: أنا ربكم الأعلى، فكان جبريل عليه السلام يسارع في إهلاكه وهو يغرق حتى لا تدركه رحمة الله تعالى حيث قال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل، فظن جبريل عليه السلام أن هذا سينفعه فكان يسارع في إدخال الماء إلى فيه فرعون ليعجل بهلاكه وذلك لأن فرعون قد تجرأ على الله، ففي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «لو رأيتني وأنا آخذ من حمأ البحر فأدسه في في فرعون، مخافة أن تدركه الرحمة»^(١).

وكذا موقفهم عليهم السلام مع النبي ﷺ لما أراد أبو جهل أن يقترب من النبي ﷺ كي يقتله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يغفر محمد وجهه بين أظهركم؟ ف قيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي - زعم ليطأ على رقبته - فما فاجأهم منه إلا وهو يركض على عقبيه، ويتقي بيديه، وقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، وقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»^(٢).

(١) صحيح الجامع رقم ٤٢٢٩.

(٢) مسلم، ك فضائل النبي ﷺ رقم ١٥٣٩.

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

والملائكة تقوم بامتهان الكافرين وذلك بضرب وجوههم وأدبارهم عند موتهم^(١).

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

والملائكة تتحدث إلى عصاة المسلمين وإلى الكافرين.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧].

- وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ [الزمر: ٧١].

- وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨ - ٩] ^(٢).

سابعاً: خوفهم من الله وخشيتهم له:

وعن وجلهم وخوفهم من الله تعالى يقول عز وجل عنهم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠].

وفي معجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مررت ليلة أُسري بي بالملا الأعلى، وجبريل،

(١) عبودية الكائنات رب العالمين ص ٣٦٤.

(٢) عبودية الكائنات لرب العالمين ص ٣٦٤.

كالجلس^(١)، البالي من خشية الله تعالى^(٢).

ثامناً: حضور مجالس الذكر وخطبة يوم الجمعة:

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةُ سَيَارَةٍ فَضَلَّاءٌ يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجِدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يَسْبَحُونَكَ، وَيَكْبِرُونَكَ وَيَهْلِلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونَنِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي، قَالُوا: لَا يَا رَبِّ، فَقَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: يَسْتَجِيرُونَكَ؟ قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: يَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصَّحْفَ وَجَاءُوا يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ^(٤).

تاسعاً: حضورهم الصلوات في المساجد وقولهم ما يقول المأموم:

(١) المجلس: كساء يبسط في أرض البيت.

(٢) صحيح الجامع (٥ / ٢٠٦).

(٣) البخاري رقم ٦٠٤٥.

(٤) فتح الباري على صحيح البخاري (٢ / ٢٠٧).

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

- قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»^(١).

- وقال رسول الله ﷺ: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول: آمين»^(٢).

- وقال رسول الله ﷺ: «إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٣).
عاشراً: صلاة الملائكة:

الصلاة من الملائكة منها ما هي متعلقة بالأذكار وهي بمعنى الدعاء كصلاتهم على النبي ﷺ قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦].
وكصلاتهم علينا بمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم، ومنها صلاة خاصة بهم عند البيت المعمور.

كما ورد ذلك في حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «فرّج لي البيت المعمور فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم»^(٤).

(١) مسلم (٤٣٩ / ١) رقم ٦٣٣.

(٢) مسلم (٣٠٧ / ١) ك الصلاة.

(٣) مسلم (٣٦ / ١) رقم ٤٠٩ ك الصلاة.

(٤) مسلم (١٤٦ / ١) رقم ١٦٢.

الإيمان بالملائكة

وعبادات الملائكة كثيرة لعنا لم نعرف منها إلا القليل، وقد ورد في النصوص أن للملائكة عبادات تشبه بعض أجزاء صلاتنا المشروعة لنا ومن هيئات هذه العبادات:

١ - القيام والاصطفاف:

قال تعالى: {وَمَا مِثَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) [الصفات: ١٦٤، ١٦٥].

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت تربتنا لنا طهوراً إذا لم نجد الماء» وذكر خصلة أخرى^(١).

٢ - الركوع والسجود:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (٢٠٦) [الأعراف: ٢٠٦].

وقد جاء في السنة كذلك وصف الملائكة بالركوع والسجود فمن ذلك حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٢).

الحادي عشر: سلام الملائكة:

دلت النصوص على تسليم الملائكة على بني آدم ومن ذلك تسليمهم على المؤمنين في سكرات الموت كما قال تعالى: {الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ}

(١) مسلم (٣٧١ / ١) رقم ٥٢٢.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٦٠.

المبحث الرابع: عبادة الملائكة

يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [النحل: ٣٢].

أخبر تعالى عن حال المؤمنين عند الاحتضار أنهم طيبون أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة^(١).

والملائكة كذلك تسلم على أهل الجنة بعد فتح أبوابها.

قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: ٧٣].

والملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب وتسلم عليهم، قال تعالى: {جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٣، ٢٤]^(٢).

* * *

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٨).

(٢) في الملائكة المقربين د. محمد عقيل ص ١٣٤.

المبحث الخامس

أعمال الملائكة

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

للملائكة أعمال مكلفون بها، بعضها يتعلق بالإنسان بدءاً بمولده، وحتى آخر مراحل حياته الأخروية، وأخرى تتصل بالكون وما فيه من أحداث ووقائع.

أولاً: أعمال الملائكة المتعلقة ببني آدم:

للملائكة صلة بالإنسان قبل مولده وأثناء حياته الدنيا، وفي حياته البرزخية وفي الحياة الآخرة ولهم في كل من تلك المراحل أعمال يقومون بها، ومن تلك الأعمال ما يلي^(١):

١- نفخ الأرواح في الأجنة:

وكتابة مستقبل تلك الأجنة من حيث أعمالها وآجالها وأرزاقها وسعادتها وشقاوتها، كل ذلك والأجنة في بطون أمهاتها^(٢).

قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾} [الحج: ٥].

هذه هي أطوار الإنسان التي مر بها في حياته منذ خلق أبيه آدم من تراب إلى خلقه هو من ماء مهين ومنذ أن نزل في رحم أمه نطفة إلى أن تطور فصار علقة ثم مضغة وهو في هذا كله ضعيف جداً لولا حفظ الله له لهلك مذ كان نطفة ولكن الله عز وجل رحمه وحماه ووكل به ملكاً يحوطه

(١) العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي ص ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٣.

الإيمان بالملائكة

ويرعاه وهو لا يقدر على شيء من أمر نفسه ولا يدري أحي هو أم ميت
أذكر هو أم أنثى أشقي أم سعيد^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو
الصادق المصدوق قال: ﴿إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم
علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربعة:
برزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله إن أحدكم أو
الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو باع،
فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل
بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها﴾^(٢).

٢- مراقبتهم الإنسان وكتابة أعماله وإحصاؤها عليه:

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾
[الزخرف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۖ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:
١٠ - ١٢].

وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي
عن شماله يكتب السيئات^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتْلَقَانِ ۚ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۖ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ
رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۖ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

(١) في الملائكة المقربين ص ١٨٦.

(٢) البخاري، ك القدر رقم ٦٥٩٤.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٣٣٦).

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ} أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات^(١).

وقال تعالى: {وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذِ اللَّهُمَّ مَكْرُفِيءَ آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} [يونس: ٢١].

وقال تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [٢٩] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} [الجاثية: ٢٩، ٣٠].

وقال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا} [١٣] أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [١٤] [الإسراء: ١٣، ١٤]. فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الكرام الكاتبين من الملائكة ملازمون للإنسان ليله ونهاره وأنهم يكتبون أقواله وأعماله القلبية والظاهرة كتابة حقيقية في كتب حقيقية^(٢).

والحكمة من كتابة الأعمال مع علم الله بكل ما يقع؛ إظهار عدل الله عز وجل وإقامة للحجة القاطعة لكل شبه قد يعتذر بها العاصي يوم القيامة وقد جاء في الحديث الصحيح عن سعد بن عباد - رضي الله عنه - قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٢٢٢).

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٦٧.

الإيمان بالملائكة

ومن أجل ذلك وعد الله الجنة^(١)، ولذلك يؤمر الإنسان بقراءة كتابه ومحاسبة نفسه يوم القيامة كما قال: { أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء: ١٤].

قال الحسن البصري: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة و وكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفة فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً اقرأ كتابك فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك^(٢)، وفي حديث صاحب البطاقة المشهور قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً لكل سجل مد البصر ثم يقول له: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمت كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضره، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم^(٣).

أ - ماذا تكتب الملائكة:

الذي دلت عليه النصوص أن الملائكة تكتب كل ما صدر عن الإنسان من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة كتابة تفصيلية لا إجمالية:

(١) مسلم رقم ١٤٩٩.

(٢) تفسير ابن جرير (١٥٩ / ٢٦) في الملائكة المقربين ص ١٦٨.

(٣) سنن الترمذي رقم ٢٦٤١ حديث حسن غريب.

- قال تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾} [القمر: ٥٢، ٥٣].

- وقال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَنَا مَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾} [الكهف: ٤٩].

- وقال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُفْقُونَ تَفَقَّةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾} [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

- وقال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾} [الزلزلة: ٧، ٨] وقال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوتيهِ حسنة ويمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسرع فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً. قالوا: لم يا أبا هريرة؟ قال: من أجل كثرة الخطأ»^(١).

وعن جابر بن عبد الله قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو مسلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم: «بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: «يا

(١) مسلم رقم ٦٥٦ (١/٤٦٢).

الإيمان بالملائكة

بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم». فقالوا: ما يسرنا أنا كنا تحولنا^(١).

والنصوص في هذا المعنى كثيرة وهي تفيد أن الأعمال صغيرها وكبيرها تكتب في صحائف يلقاها ابن آدم يوم القيامة^(٢).

وعن بلال بن الحارث المزني - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ﴾^(٣).

وثبت أن أعمال القلوب تكتب كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كُنُوزًا ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

ولفظ {يَعْلَمُونَ} يشعر أن الله عز وجل قد أعطى الملائكة قدرة على العلم بما في قلب العبد. ورؤي عن الحسن رحمه الله أنه قال: {يَعْلَمُونَ} لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم^(٤).

وقال ابن أبي العز الحنفي: قد ثبت بالنصوص أن الملائكة تكتب القول والفعل وكذلك النية لأنها فعل القلب فدخلت في عموم {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}^(٥).

وقد ورد في السنة ما يدل على علم الملائكة بفعل القلب بها وبهمه وإرادته، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: قال

(١) مسلم (٤٦٢ / ١) رقم ٦٥٦.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٧٤.

(٣) صحيح الجامع (٦٣ / ٢) رقم ١٦١٥.

(٤) تفسير القرطبي (٢٤٨ / ١٩).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٢.

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

الله عز وجل: ﴿إِذَا هُمْ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَأَكْتُبُهَا سَيِّئَةً وَإِذَا هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَأَكْتُبُهَا حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَأَكْتُبُهَا عَشْرًا﴾^(١).

والخلاصة أن الكرام الكاتبين قد هياهم الله وأعدهم لكتابة كل ما صدر عن الإنسان من قول وفعل ظاهر وباطن، ودلت النصوص كذلك على أن الملائكة تكتب للإنسان بعد وفاته الأعمال التي تسبب بها في حياته من خير وشر^(٢).

- قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) {يس: ١٢}.

وهذا يدل على أن الملائكة تكتب أعمال الإنسان الذي عملها في حياته والأعمال التي تسبب بها في حياته بعد موته سواء كانت من عمله أو من عمل غيره ما دام تسبب بها أو دعا إليها ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ {المائدة: ٣٢}.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَقْتُلْ نَفْسًا ظَلَمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا﴾^(٣).

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: جاء ناس من الأعراب

(١) فتح الباري على صحيح البخاري (١٣ / ٢٦٤).

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٧٥.

(٣) البخاري رقم ٦٨٩٠، مسلم رقم ١٦٧٧.

الإيمان بالملائكة

إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطؤوا عنه حتى روي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة ورق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به من بعده، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده»^(٢).

ب - الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ونحوها:

قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(٣).

وقد أجاب عن ذلك الخطابي بقوله: يريد الملائكة الذين ينزلون بالبركة والرحمة دون الملائكة الذين هم الحفظة فإنهم لا يفارقونه^(٤).

والمقصود: أن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتاً فيه شيء من ذلك دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستنكر بيننا فإن فساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء الناس منزله دخول إكرام ولا

(١) مسلم (٢٠٥٩ / ٤) رقم ١٠١٧.

(٢) مسلم (١٢٥٥ / ٣) رقم ١٦٣١.

(٣) البخاري (١١٧٩ / ٣) رقم ٢٠٥٣.

(٤) معالم السنن للخطابي (٧٥ / ١).

يمنعهم أن يدخلوه دخول إنكار^(١).

والخلاصة: أن الملائكة الكتبة عليهم السلام ملازمون للإنسان يكتبون ما صدر عنه وقد أعدهم الله لذلك وأعطاهم من الوسائل والصفات ما يستطيعون به تنفيذ أمر الله لهم بدون أدنى عناء ومشقة^(٢).

٣- حفظ بني آدم:

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائتان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدّامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة بالليل بدلاً، حافظان وكتابتان، كما جاء في الصحيح: ﴿يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون﴾^(٣).

وروى عن بعض أهل العلم: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من

(١) فتح الباري (١٠ / ٣٨٠ - ٣٨٢)، في الملائكة المقربين ص ١٧٨.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٧٩.

(٣) صحيح تفسير ابن كثير (٢ / ٤٩٣)، البخاري رقم ٥٥٥.

بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه^(١).

وقال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: ٦١].

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} أي: من الملائكة يحفظون بدن الإنسان^(٢).

وقال تعالى: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق: ٤] أي: حافظ يحرسها من الآفات^(٣).

وقد بين النبي ﷺ بعض الأذكار التي تحفظ الملائكة من قالها في يومه ذاك أو في موضعه الذي قالها فيه فمن ذلك:

أ - آية الكرسي: فقد صح عن النبي ﷺ أن من قرأها وكلّ الله به ملك يحوطه كما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - فقص الحديث - وفيه فقال: ﴿إِذَا أُوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تَصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ﴾. فقال النبي ﷺ: ﴿أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَّقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مِنْ تَحَاطَبٍ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟﴾ قال: لا، قال: ﴿ذَاكَ شَيْطَانٌ﴾^(٤).

(١) صحيح تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٣).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٧).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٦٢٥).

(٤) البخاري رقم ٢١٨٧.

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

ب - قراءة أواخر سورة البقرة: عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»^(١).

قال النووي: اختلف العلماء في معنى {كفتاه} فقيل: من الآفات في ليلته. وقيل: كفتاه من قيام ليلته، فقلت - أي النووي: ويجوز أن يراد الأمران^(٢).

ج - قراءة قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات: عن عبد الله بن خبيب - رضي الله عنه - قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمشي، وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء»^(٣).

د - قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له: قال رسول الله ﷺ من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر منه»^(٤).

٤ - ملازمته ودعوته للخير:

وممن هو ملازم للإنسان من الملائكة القرين، وهذا من أعظم نعم الله

(١) فتح الباري على صحيح البخاري (٥٥ / ٩).

(٢) الفتح (٥٦ / ٩).

(٣) صحيح الجامع (١٤١ / ٤) رقم ٤٢٨٢.

(٤) البخاري (٢٣٥١ / ٥) رقم ٦٠٤٠.

الإيمان بالملائكة

على الإنسان والله الحمد والمنة فقد يسر الله لكل إنسان ملك يدعو به إلى الخير ويحثه عليه ويخوفه من الشر ويحذره.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدٌ﴾ (٢٣) {ق: ٢٣}.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»، قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»^(١).

وقد وضع النبي ﷺ عمل هذين القرينين للإنسان وطريقة السلامة من الشيطان في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آوى الرجل إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، فإن ذكر الله ثم نام بات الملك يكلؤه، فإذا استيقظ قال الملك: افتح بخير، وقال الشيطان: افتح بشر، فإن قال: الحمد لله الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا إلى آخر الآية، الحمد الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فإن وقع من سريره فمات دخل الجنة»^(٢).

وقد روي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً - ما يوضح هذا الأمر وفيه: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان،

(١) مسلم (٢١٦٨ / ٤) رقم ٢٨١٤.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٣ / ٣٢٦) رجاله رجال الصحيح عدا إبراهيم بن الحجاج السامي وهو ثقة.

ثم قرأ: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} [البقرة: ٢٦٨] ^(١).

يقول ابن القيم: وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب، فهذا يلم به مرة وهذا يلم به مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمتة الانفساح والانشراح والنور، والرحمة، والإخلاص، والإنابة، ومحبة الله، وإيثاره على ما سواه، وقصر الأمل، والتجافي عن دار البلاء، والإمتحان والغرور، فلو دامت له تلك الحالة لكان في أنها عيش وأذة وأطيبه، ولكن تأتبه لمة الشيطان فتحدث له من الضيق، والظلمة، والهم، والغم، والخوف، والسخط المقدور، والشك في الحق، والحرص على الدنيا وعاجلها، والغفلة عن الله...

ثم للناس مراتب في هذه المحنة لا يحصيها إلا الله، فمنهم من تكن لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى، فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصار، وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب، فيبادر إلى طرد تلك اللمة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها، فهو دائماً في حرب بين اللمتين، يدال له مرة، ويدال عليه مرة أخرى والعاقبة للتقوى ^(٢).

وليس شيء أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته، وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سرّه، ويحارب عنه عدوه، ويدافع عنه، ويعينه عليه ويعده بالخير، ويبشره به ويحثه على التصديق بالحق وإذا اشتد قرب الملك من

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (٨/ ٤١٧) رقم ٤٩٩٩، في الملائكة المقربين ص ١٨٤، تفسير الطبري (٥/ ٥٧٢ - ٥٧٥) تحقيق أحمد شاكر.

(٢) الإيمان بالملائكة الأطهار للأشقر من ابن القيم ص ٥٩.

الإيمان بالملائكة

العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان من العبد، تكلم على لسانه قول الزور والفحش حتى يرى الرجل يتكلم على لسان الملك، والرجل يتكلم على لسان الشيطان^(١).

وذكر ابن القيم أن العبد يصحب الملك ويدنيه منه إن هو اشتغل بالإيمان والعبادة للرحمن، ويطرده منه ويقسيه إن اشتغل بالذنوب والمعاصي وفي ذلك يقول: من عقوبة المعاصي أنها تباعد عن العبد وليه، وأنصح الخلق له، وأنفعهم له، ومن سعادته في قربه منه، وهو الملك الموكل به، وتدني منه عدوه وأخشى الخلق، وأعظمهم ضرراً له، وهو الشيطان فإن العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية، حتى إنه يتباعد منه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة.... فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة، فماذا يكون قدر تباعده منه مما هو أكبر من ذلك وأفحش منه^(٢)..

٥ - السفارة بين الله وبين عباده من بني آدم:

من أهم الوظائف المنوطة بالملائكة هو قيامهم بتبليغ الوحي إلى أنبياء الله، ورسله، فالملائكة واسطة بين الله تعالى وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع، ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه، والرسول واسطة بين الملك وقومه، وما يؤديه الملك إلى الرسول ليؤدي الرسول إلى قومه ضربان: قرآن ووحى^(٣)، فقد اصطفى الله سبحانه وتعالى من بني آدم أفراداً شرفهم بنبوته ورسالته وأرسل إليهم ملائكة منه يبلغونهم أوامر الله سبحانه وتعالى دينه، وهؤلاء المصطفون هم الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ

(١) المصدر نفسه ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٨.

(٣) معارج القبول للحكمي (٢ / ٧٨)، الرسل والرسالات للأشقر ص ٦٣.

مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَعِيسَىٰ وَيُوشَعَ وَدَاوُدَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ
قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ
تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥]. وقد ذكر الله عز
وجل المقامات التي يوحى بها إلى عباده فقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ
إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَى
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ
تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى: ٥١ - ٥٣].

قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك
وتعالى: تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى أنه من الله عز
وجل أو من وراء حجاب كما كلم موسى - عليه الصلاة والسلام -: أو
يرسل رسولا كما ينزل جبريل، عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة
على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والذي يهمنا في هذا المبحث المقام الثالث، وهو الوحي بواسطة الملك^(١).
فقد أثبتت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن جبريل عليه السلام هو
الذي ينزل بالوحي من الله تعالى للأنبياء والرسل، فكان الوساطة بين الله
تعالى ورسوله^(٢).

(١) في الملائكة المقربين ص ١٦٢ تفسير ابن كثير (٤ / ١٢٢).

(٢) الوساطة بين الله وخلق ص ١١٢.

● - الأدلة من الكتاب العزيز:

أ - قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾} [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

ب - قال تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [البقرة: ٩٧].

ج - وقال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾} [النحل: ١٠٢].

د - وقال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾} [النجم: ٣ - ١٠]، وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه، فكان ذلك يعرف منه فأنزل الله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَةٌ وَقُرْءَانُهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ، ﴿١٨﴾} [القيامة: ١٦ - ١٨] فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله^(١).

ك - وقال تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ١٩ - ٢٣]^(٢).

- وقد كان نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ على أشكال:

أ - فمن تلك الأشكال أنه كان يأتيه على صورة غير مرئية ويقع كلامه

(١) البخاري، ك بدء الوحي (١ / ٢٩).

(٢) الواسطة بين الله وخلقها ص ١٢٤.

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

على قلب النبي، فيعي ما يقول ولا يرى الصحابة جبريل عليه السلام والحالة هذه، ولكن تظهر لهم علامات تدل على أن النبي ﷺ يوحى إليه ومن هذه العلامات:

- خروج العرق من جسمه الشريف ﷺ في اليوم البارد، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان يُنزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً^(١).

- تغير وجهه الشريف في صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب^(٢) لذلك وتربد^(٣) وجهه^(٤).

- ثقل جسمه الشريف ﷺ فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنه قالت: إني لأخذه بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذا أنزلت عليه المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة^(٥).

وروى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فتقلت علي حتى خفت أن ترضى^(٦)، فخذي^(٧).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٨٦).

(٢) كرب: أصابه الكرب من شدة الوحي.

(٣) تربد وجهه: تغير إلى الغبرة.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ٨٨).

(٥) فتح الباري (١ / ٢١).

(٦) الرضى: الكسر. مختار الصحاح ص ٢٤٥.

(٧) البخاري، ك الصلاة (١ / ٤٧٨) رقم ١٢.

ب - وقد يراه على صورته التي خلق عليها:

وقد ثبت أنه ﷺ رأى جبريل على صورته التي خلق عليها مرتين، فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين: مرة عند سدره المنتهى ومرة في جياذ^(١) له ستمائة جناح قد سد الأفق^(٢).

ج - وقد يتمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة رجل فيكلمه بالوحي ومن ذلك:

- تمثل جبريل عليه السلام بصورة الصحابي دحية بن خليفة الكلبي - رضي الله عنه - وكان معروفاً بجماله، فقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية^(٣).

- وقد يأتيه على رجل غير معروف ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وساق عمر الحديث إلى أن قال في آخره: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: ﴿يا عمر أتدري من السائل؟﴾ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ﴿فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم﴾^(٤).

(١) جياذ: يقال له أجياذ واد بمكة.

(٢) فتح الباري (١ / ٣).

(٣) مسند أحمد (٨ / ١٣٢) صححه محقق المسند.

(٤) مسلم، ك: الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان.

وقد جمع النبي ﷺ بين الشككين "أ، ج" (١).

في قوله: ﴿أحياناً يأتيني مثل صلصلة (٢) الجرس وهو أشده علي فيفصم (٣) عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول﴾ (٤).

- وأخبرنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أرسل بعض الملائكة المقربين، واسطة منه تعالى إلى أشخاص من البشر ليسوا بأنبياء، تشرifa لهم وتكريماً، وأن أولئك الملائكة عليهم السلام جاءت وساطتهم بالبشارة والندارة والابتلاء لهؤلاء الأشخاص ونريد أن نبين تلك الوساطات في النقاط الآتية:

أ - سارة زوجة إبراهيم عليه السلام:

لما ذكر الله تعالى قصة ملائكته الذين أرسلهم إلى إبراهيم عليه السلام ذكر في أثنائها أنهم خاطبوا زوجه سارة، وبشروها بولدها إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وذلك في آيتين من كتاب الله العزيز.

- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۗ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ نَهْأً يَاسْحَقُ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ۗ قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَ الْيَوْمِ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۗ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۗ﴾ [هود: ٧٠ - ٧٣].

(١) وهما مجيء جبريل في صورة غير مرئية ومعينة في صورة رجل.

(٢) الصلصلة: الصوت.

(٣) فيفصم: الفصم: القطع: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥٢).

(٤) فتح الباري (١/ ١٨) رقم ٢.

الإيمان بالملائكة

- وقال تعالى: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} (٢٨) فَأَقْبَلَتْ أُمُّرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) [الذاريات: ٢٨ - ٣٠].

فتبين من هاتين الآيتين أن الله تعالى أوحى إلى سارة بواسطة هؤلاء الملائكة الذين بشروها بأنها ستلد إسحاق رغم كبر سنها، وشيخوخة بعلها، وأن إسحاق سيولد له ولد يسمى يعقوب^(١).

ب - مريم ابنة عمران عليها السلام:

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يولد عيسى ابن مريم عليه السلام من أم دون أب، ليكون ذلك دليلاً مشاهداً على عظم قدرة الله عز وجل، ولما كانت مريم عليها السلام هي الأم التي قدر الله ولادتها لهذا النبي الوجيه أرسل إليها الملائكة مراراً، وقد بينت آيات القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع، فمن تلك الآيات:

- قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَمْرَيْمُ اقْنِطِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)} [آل عمران: ٤٢، ٤٣].

- وقال تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٤٥ - ٤٧].

- وقال تعالى: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

(١) الوساطة بين الله وخلقته ص ١٢٧.

بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾

[مريم: ١٧ - ٢١].

فثبتت من هذه الآيات أن الملائكة أوحى إلى مريم ثلاث مرات، واسطة بينها وبين الله تعالى، وفي بعض هذه المرات كانت الواسطة جمعاً من الملائكة بصيغة العموم، وفي المرة الثالثة في سورة مريم كان الواسطة هو جبريل عليه السلام، حيث تمثل لمريم على صورة رجل تام الخلقة وأخبرها أنه رسول من عند الله تعالى، ليهب لها غلاماً زكياً^(١).

ولا يفهم من وحي الله إلى كل من سارة ومريم، بواسطة الملائكة أنه توجد نبية من النساء، لأن النبوة لا تثبت لأحد من البشر إلا بدليل، ولا يوجد دليل على نبوة واحدة من النساء، بل القرآن قصر الرسالة على الرجال دون النساء.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧] وهذا قول جمهور أهل العلم وهو الراجح^(٢).

ج - الملك الذي أرسله الله إلى الرجل الذي زار أخاه في الله:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ﴿أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى فأرصد الله على مדרجته^(٣) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من

(١) الواسطة بين الله وخلقه ص ١٢٨.

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١٥ / ١٩٨).

(٣) المدرجة: الطريق.

الإيمان بالملائكة

نعمة تُربُّها^(١)، قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته^(٢).

فثبت بهذا الحديث أن الله تعالى قد أرسل ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين هذا الرجل الصالح ليعلمه فضل الحب في الله تعالى، ومنزلة المتحابين فيه.

س - الملك الذي بعثه الله إلى الأبرص والأقرع والأعمى في بني إسرائيل لابتلائهم:

وقد مرّ الحديث معنا مفصلاً، فقد دل هذا الحديث على أن الله تعالى قد بعث ملكاً من ملائكته واسطة بينه وبين هؤلاء الثلاثة نفر من بني إسرائيل لابتلائهم، وامتحانهم، وأنه أتاهم على صورة رجل من البشر^(٣).

٦ - تثبيت المؤمنين وقتالهم معهم:

كما حصل في عدد من الغزوات، فقد شاركوا في قتال المشركين في بدر، والأحزاب وقريظة وغيرها، وقد سجل القرآن الكريم بعض تلك المشاركات، ليبين لهم عظيم نعمته على عباده المؤمنين من نصرتهم وتأنيده سبحانه وتعالى لهم^(٤):

أ - في غزوة بدر:

ثبت في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ومرويات عدد من الصحابة البدرين: أن الله تعالى ألقى في قلوب الذين كفروا الرُّعب، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي

(١) تربُّها: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٢) مسلم شرح النووي (١٦ / ١٢٤).

(٣) الواسطة بين الله وخلقه ص ١٣٠.

(٤) العقيدة الإسلامية د. أحمد جلي ص ١٧٤.

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ [الأنفال: ١٢].

- وقال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمَ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ﴿١٢٣﴾
إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِنُطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦].

وقد أشارت الأحاديث الصحيحة إلى مشاركة الملائكة في معركة بدر، وقيامهم بضرب المشركين، وقتلهم^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشدد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم^(٢)، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً فنظر إليه فإذا هو خُطِمَ أنفه، وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله، فقال: ﴿صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة﴾^(٣)، ومن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - أيضاً - قال: إن النبي ﷺ قال يوم بدر: ﴿هذا جبريل أخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب﴾^(٤)، ومن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا

(١) السيرة النبوية للصلابي (١/ ٧١١).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٧١٢) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.

(٣) السيرة النبوية للصلابي (١/ ٧١٢).

(٤) البخاري رقم ٣٩٩٥.

الإيمان بالملائكة

والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجْلَحُ^(١)، من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق^(٢)، وما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال: ﴿اسكت فقد أيدك الله بملك كريم﴾^(٣) ومن حديث أبي داود المازني قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري^(٤).

وقد بوب البخاري باب شهود الملائكة بدرأ، وساق بسنده حديث رفاع بن رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ﴿ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة﴾^(٥).

إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت، لا شك فيه، وإن الحكمة من هذا الإمداد تحصيل ما يكون سبباً لانتصار المسلمين، وهذا ما حصل عند نزول الملائكة، فقد قاموا بكل ما يمكن أن يكون سبباً لنصر المسلمين، من تبشيرهم بالنصر، من تثبيتهم بما ألقوه في قلوبهم، من بواعث الأمل في نصرهم، والنشاط في قتالهم، وبما أظهره لهم من أنهم معانون من الله تعالى، وأيضاً بما قام به بعضهم من الاشتراك الفعلي في القتال، ولا شك أن هذا الاشتراك الفعلي في القتال قوى قلوبهم وثبتهم في القتال، وهذا ما دلت عليه الآيات وصرحت به الأحاديث النبوية^(٦).

(١) أجْلَح: الذي انحسر شعره من جانبيه.

(٢) الأبلق: الذي ارتفع التحجيل إلى فخذيه..

(٣) مسند أحمد (١ / ١١٧).

(٤) مسند أحمد (٥ / ٤٥٠) سيرة ابن هشام (٢ / ٢٨٦).

(٥) البخاري فتح الباري (٧ / ٣١١، ٣١٢).

(٦) المستفاد من قصص القرآن د. عبد الكريم زيدان (٢ / ١٣١، ١٣٢).

وقد يسأل سائل: ما الحكمة في إمداد المسلمين بالملائكة، مع أن واحداً من الملائكة جبريل عليه السلام قادر بتوفيق الله على إبادة الكفار؟

وقد أجاب الدكتور عبد الكريم زيدان على ذلك، فقال: لقد مضت سنة الله بتدافع الحق وأهله مع الباطل وأهله، وأن الغلبة تكون وفقاً لسنن الله في الغلبة والانتصار، وأن هذا التدافع يقع في الأصل بين أهل الجانبين الحق والباطل، ومن ثمرات التمسك بالحق والقيام بمتطلباته أن يحصلوا على عون وتأيد من الله تعالى بأشكال وأنواع متعددة في التأيد والعون، ولكن تبقى المدافعة، والتدافع يجريان وفقاً لسنن الله فيهما، وفي نتيجة التدافع فالجهة الأقوى بكل معاني القوة اللازمة للغلبة هي التي تغلب، فالإمداد بالملائكة هو بعض ثمرات إيمان تلك العصابة المجاهدة، ذلك الإمداد الذي تحقق به ما يستلزم الغلبة على العدو، ولكن بقيت الغلبة موقوفة على ما قدمه أولئك المؤمنون في القتال ومباشرة لأعمال القتال وتعرضهم للقتل، وصمودهم وثباتهم في الحرب واستدامة توكلهم على الله، واعتمادهم عليه وثقتهم فيه، وهذه معان جعلها الله حسب سننه في الحياة أسباباً للغلبة والنصر مع الأسباب الأخرى المادية مثل العدة والعدد، والاستعداد للحرب، وتعلم فنونها.... إلخ.

ولهذا فإن الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يباشروا بأنفسهم إزهاق الباطل، وقتال المبطلين، ويهيئوا الأسباب المادية والإيمانية للغلبة والانتصار، وبأيديهم - إن شاء الله تعالى - ينال المبطلون ما يستحقون من العقاب^(١).

قال تعالى: ﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَكْشِفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۖ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ﴾

(١) المستفاد من قصص القرآن (٢ / ١٣١، ١٣٢).

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

إن نزول الملائكة - عليهم السلام - من السماوات العلا إلى الأرض، لنصر المؤمنين حدث عظيم، إنه قوة عظمى وثبات راسخ للمؤمنين، حينما يؤمنون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، وأنهم إذا حققوا أسباب النصر واجتنبوا موانعه، فإنهم أهلٌ لمدد السماء، وهذا الشعور يعطيهم جرأة في مقابلة الأعداء، وإن كان ذلك على سبيل المغامرة، لبعد التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عدداً، القوي إعداداً، وجيش المؤمنين القليل عدداً الضعيف إعداداً وهو في الوقت نفسه عامل قوي في تحطيم معنوية الكفار، وزعزعة يقينهم وذلك حينما يشيع في صفوفهم احتمال تكرار نزول الملائكة، الذين شاهدتهم بعض الكفار عياناً، إنهم مهما قدروا قوة المسلمين وعددهم، فإنه سيبقى في وجدانهم رعب مزلزل من احتمال مشاركة قوى غير منظورة، لا يعلمون عددها، ولا يقدرّون مدى قوتها، وقد رافق هذا الشعور المؤمنين في كل حروبهم التي خاضها الصحابة رضي الله عنهم في العهد النبوي، وفي عهد الخلافة الراشدة، كما رافق المؤمنين بعد ذلك، فكان عاملاً قوياً في انتصاراتهم المتكررة الحاسمة مع أعدائهم^(١).

ب - الملائكة في أحد:

قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما - قبل ولا بعد - يعني - جبريل وميكائيل^(٢).

(١) التاريخ الإسلامي (٤ / ١٤٥) للحميدي.

(٢) البخاري رقم ٤٠٥٤.

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

وهذا خاص بالدفاع عن النبي ﷺ لأن الله تكفل بعصمته من الناس، ولم يصح: أن الملائكة قاتلت في أحد سوى هذا القتال - وإن وعدهم الله أن يمدهم - لأنه جعل وعده معلقاً على ثلاثة أمور: الصبر، والتقوى، وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الأمور فلم يحصل الإمداد^(١).

قال تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾} [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥]^(٢).

ج- في الخندق:

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: ﴿اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزمهم﴾^(٣)، فاستجاب الله - سبحانه - دعاء نبيه ﷺ، فأقبلت بشائر الفرج، فقد صرفهم الله بحوله وقوته، وزلزل أبدانهم، وقلوبهم، وشتت جمعهم بالخلاف، ثم أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة وألقى الرعب في قلوبهم وأنزل جنوداً من عنده سبحانه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾} [الأحزاب: ٩].

فكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منها، ولم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق، وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها، وبعث الله عليهم الملائكة فخلقت الأوتداد، وقطعت

(١) السيرة النبوية الصحيحة أكرم العمري (٢ / ٣٩١).

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٤٩).

(٣) البخاري رقم ٢٩٣٣.

الإيمان بالملائكة

أطناب الفساطيط^(١)، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيول بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب المعسكر حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان، هلم إلي، فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء لما بعث الله عليهم الرعب^(٢).

وبعد انتصار المسلمين وعودة النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقتال بني قريظة، فأمر الحبيب ﷺ أصحابه بالتوجه إليهم، وقد أعلمهم بأن الله تعالى قد أرسل جبريل ليزلزل حصونهم، ويقذف في قلوبهم الرعب، وأوصاهم بأن: ﴿لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة﴾^(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام وقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فخرج إليهم، قال: ﴿فإلى أين؟﴾ قال: هاهنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ^(٤).

وقد سجل القرآن الكريم غزوتي الأحزاب، وبني قريظة، والقرآن كعهدنا به يسجل الخالدات التي تسع الزمان والمكان، فالمسلمون معرضون دائماً لأن يغزو في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم، ومعرضون بأن يتكالب عليهم الأعداء جميعاً، فإذا كان القرآن قد سجل حادثتي الأحزاب، وبني قريظة، فذلك من سمة التكرار على مدى العصور^(٥)، لكي يستفيد

(١) الفساطيط: نوع من الأبنية في السفر دون السرادق.

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ١٤٤).

(٣) البخاري رقم ٤١١٩، مسلم ١٧٧٠.

(٤) البخاري مع الفتح (٧ / ٤٠٧).

(٥) الأساس في السنة، سعيد حوى (٢ / ٦٦٢).

المسلمون من الدروس والعبر من الحوادث السابقة التي ذكرت في القرآن الكريم على وجه الخصوص، والذي يتدبر حديث القرآن عن غزوة الأحزاب يراه قد اهتم ببيان أمور من أهمها ما يلي:

- تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾} [الأحزاب: ٩].

- التصوير البديع لما أصاب المسلمين من هم بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة، قال تعالى: {إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾} [الأحزاب: ١٠].

- الكشف عن نوايا المنافقين السيئة، وأخلاقهم الذميمة وجبنهم الخالع، ومعاذيرهم الباطلة، ونقضهم للعهود، قال تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: ١١، ١٢].

- حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله، وجهاده، وكل أحواله، استجابة لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} [الأحزاب: ٢١].

- مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة، وهم يواجهون جيوش الأحزاب بإيمان أدق ووفاء بعهد الله تعالى، قال تعالى: {مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾} [الأحزاب: ٢٣].

- بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وهي جعل العقوبة للمؤمنين لأعدائهم، قال تعالى: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ

الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٥].

- امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين، حيث نصرهم على بني قريظة وهم في حصونهم المنيعه بدون قتال يذكر، حيث ألقى - سبحانه - الرعب في قلوبهم فنزلوا على حكم الله ورسوله ﷺ^(١). قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَيْهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

س - الملائكة في غزوة حنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧].

إن غزوة حنين سُجِّلَتْ في القرآن الكريم، لكي تبقى درساً للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عُرِضَتْ في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي:

- بين القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

(١) حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ د. محمد بدر آل عابد (٢ / ٤٩٠، ٤٩١).

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

- بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا، وهربوا ما عدا النبي ﷺ ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى: {وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة: ٢٥].

- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله ﷺ في هذه المعركة، وأكرمه بإنزال السكينة عليه وعلى المؤمنين، فقال تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: ٢٦].

- بين القرآن الكريم أن الله أمد نبيه محمداً ﷺ بالملائكة في حنين، قال تعالى: {وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [التوبة: ٢٦] وأكد - سبحانه - على أنه يقبل من عباده، ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٢٧] ^(١).

٧- قبض الأرواح عند الموت:

ثبت في الكتاب والسنة أن الله وكل بالروح ملائكة يقبضونها عند الموت في آيات كثيرة.

أ - كيفية نزع الروح:

قال تعالى: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ^(٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ^(٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة: ٨٣ - ٨٥].

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ} أي: الروح، والحلقوم: هو الحلق، وذلك حين الاحتضار {وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ} أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ} أي: بملائكتنا، {وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} أي:

(١) حديث القرآن الكريم (٢/ ٦٠٢، ٦٠٣).

ولكن لا ترونهم^(١).

- وقال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} (٦١) ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} (٦٢) [الأنعام: ٦١، ٦٢].

وقال تعالى: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ} (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} (٢٨) وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ} (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} (٣٠) [القيامة: ٢٦ - ٣٠].

{إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ} أي: الروح، والتراقي جمع ثُرْقُوة وهي العظام المكتنفة للثقرة النحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة، ويكتفى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت، مثله قوله: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ} وقيل: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ} معناه أي: حقاً أن المساق إلى الله: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ} أي: إذا ارتفعت الروح إلى التراقي، والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت^(٢).

وقال تعالى: {قُلْ يَتُوفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة: ١١]، وقد توهم بعض الناس أن الملك الموكل بالموت وقبض الأرواح هو عزرائيل، والحقيقة أن لملك الموت أعوان على هذه المهمة فهناك النازعات والناشطات، الوارد ذكرها في قوله تعالى: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} (١) وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا} (٢) [النازعات: ١، ٢]. وقد ورد عن جمع من الصحابة والتابعين أن {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها،

(١) اليوم الآخر، د. محسن المطيري ص ٥٥.

(٢) الإيمان باليوم الآخر علي الصلابي ص ٢٥.

ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلتها من نشاط^(١)، فيقبضون أرواح المؤمنين ببسر وسهولة ويبشرونهم بالجنة، بينما يقومون بضرب وجوه الكفرة وأدبارهم، كما يوبخون الظالمين لأنفسهم الممتنعين عن الهجرة إلى الله ورسوله^(٢).

إن الإنسان إذا اقترب أجله، فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر، حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين - حتى للمؤمن - بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح، وهذا النزاع يختلف شدة ويسراً بحسب إيمان الرجل^(٣).

ب - خروج روح المؤمن واحتضاره:

قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ^(٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ^(٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(٦٤) [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وفي قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: ٦٤] قولين:

الأول: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له^(٤).

والثاني: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ويدل على هذا حديث البراء - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا حضره الموت، جاءه الملائكة بيض الوجوه، بيض الثياب،

(١) العقيدة الإسلامية أحمد جلي ص ١٧٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٥.

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة للمطيري ص ٥٨.

(٤) سنن ابن ماجه رقم ٣٨٩٨ وسنده صحيح.

فقالوا: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان وربٍّ غير غضبان، فتخرج تسيلُ كما تسيل القطرة من السقاء» ^(١).

وكلا المعنيين صحيح، ولا تعارض بين هذين التفسيرين ^(٢).

- وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} ^(٣) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ} ^(٤) [فصلت: ٣٠ - ٣١]، وفي قوله: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ} أي: أخلصوا لله، وقوله: {ثُمَّ اسْتَقَمُوا} أي: على طريقة رسول الله باتباعه ^(٥).

وفي قوله: {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} يبشرون عند الموت وفي القبر، ويوم خروجهم من قبورهم ^(٦).

- وقال تعالى: {لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} ^(٧) [الأنبياء: ١٠٣]، وقوله: {أَلَّا تَخَافُوا} أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة {وَلَا تَحْزَنُوا} على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإننا نخلقكم فيه {الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير ^(٨).

- وقال تعالى: {كَذَلِكَ يُجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ} ^(٩) الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣١، ٣٢].

(١) مسند أحمد رقم ١٨٥٣٤ صحيح الإسناد.

(٢) اليوم الآخر في القرآن العظيم للمطيري ص ٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٨ / ٤).

(٤) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦١.

(٥) تفسير البغوي (١٧٣ / ٧) بتصرف.

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

يخبر الله تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون، أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة^(١)، وأن وفاتهم تكون طيبة سهلة ولا صعوبة فيها ولا ألم، بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمُخلط^(٢).

- وقال تعالى: {يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾} [الفجر: ٢٧، ٢٨].

وهذا يقال له عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكَذلك هاهنا^(٣).

- وقال تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾} [الواقعة: ٨٨ - ٩١].

هذه الأحوال الثلاثة: هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ} أي: المحتضر {مِنَ الْمُقَرَّبِينَ} وهم من فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، قوله: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} أي فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت {فَرَوْحٌ} راحة، أو الراحة من الدنيا، والروح: الفرح {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} جنة ورخاء {فَرَوْحٌ} فرحمة {وَرَيْحَانٌ} رزق. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦٢.

(٢) تفسير القرطبي (١٠ / ٦٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٥١٠).

والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن^(١).

{وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ} أي: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار^(٢).

وقوله تعالى: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين {فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} أي: تبشرهم الملائكة بذلك، وتقول لأحدهم: سلام لك، أي لا بأس عليك، أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين^(٣).

ويكون السلام على المؤمنين عند ثلاثة مواضع: عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الدنيا، وعند مساءلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير، وعند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة، ويكون ذلك إكراماً بعد إكرام^(٤).

ج - خروج روح الكافر واحتضاره:

قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: ٩٣].

قوله: {فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} أي: كرباته وسكراته، وقوله: {وَلَوْ تَرَى} جوابه محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً، وهذه عبارة عن التعنيف في السياق

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٠).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٢٢).

(٤) تفسير القرطبي (١٧/ ١٥١).

والشدة وفي قبض الأرواح^(١).

وقوله: {بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ} أي: بالضرب لهم، حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ} وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب القهار العظيم، فتفرق روحه في جسده وتتعضى، وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ} أي: كنتم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسوله^(٢)، ثم يبشرون بالعذاب {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}.

- وقال تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان: ٢٢]، أي حرام ومحرم عليكم دخول الجنة^(٣).

وفي حديث البراء الطويل، قال رسول الله ﷺ: ﴿وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع عن الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة، سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يحييهم ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول﴾^(٤).

(١) التسهيل لابن الجوزي (١ / ٢٧٩).

(٢) التسهيل لابن الجوزي (١ / ٢٧٩).

(٣) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٦٠١.

(٤) مسند أحمد رقم ١٨٠١٣ صحيح الإسناد.

الإيمان بالملائكة

- وقال تعالى: {الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفَتٌ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾} [النحل: ٢٨، ٢٩].

- وقال تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾} [محمد: ٢٧]، هذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزاع^(١).

د - ملائكة الرحمة وملائكة العذاب:

وقد جاء أن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون فيمن لم تنتضح حاله من بني آدم كل يقول: أنا أقبض روحه حتى يفصل الله بينهما، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن نبي الله ﷺ قال: ﴿كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فأكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه على الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة﴾، وفي رواية: ﴿فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن

(١) اليوم الآخر في القرآن العظيم ص ٧٠.

تقريباً^(١).

والقصد أن ملائكة الموت نوعان: ملائكة رحمة وملائكة عذاب ينزلون لتقبض أرواح بني آدم كل حسب عمله فأهل الإيمان تقبض أرواحهم ملائكة الرحمة وأهل الكفر تقبض أرواحهم ملائكة العذاب^(٢).

٨- سؤلهم الميت في قبره، ثم تنعيمه أو تعذيبه، بعد إعادة الروح إلى الجسد:

البرزخ: اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه، وهو بين الدنيا والآخرة^(٣)، قال تعالى:

{ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ^(١١) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ^(١٢) } [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

ومن الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر:

- قال تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } [الأنعام: ٩٣].

ففي قوله: {الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} فالآية تبين حال المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر، ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: {الْيَوْمَ

(١) مسلم (٤٩ / ٤) رقم ٢٧٦٦.

(٢) في الملائكة المقربين ص ١٩٢.

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ١٥٠).

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} ^(١).

- وقال تعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة: ١٠١].

قوله تعالى: {سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ} المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غير ذلك، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله: {ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ} ^(٢).

- وقال تعالى: {فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} ^(٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} ^(٤٦) [غافر: ٤٥، ٤٦].

وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لآل فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} ^(٣).

ولقد جاءت الأحاديث بفتنة القبر وسؤال الملكين، ومما يُستدل به من القرآن على سؤال الملكين قول الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} ^(٢٧) [إبراهيم: ٢٧] ^(٤).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

(١) الروح لابن القيم ص ١٣٢.

(٢) تفسير الطبري (١٤ / ٤٤١).

(٣) اليوم الآخر للصلاحي ص ٤٨.

(٤) البخاري رقم ٤٦٩٩. مسلم رقم ٢٨٧١.

﴿إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه يسمع قرع نعالهم، قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين﴾^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا قبر الميت، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، ويقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبده ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التثمي عليه فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه﴾^(٢).

٩ - نفخهم في الصور:

عرّف النبي ﷺ الصور - كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: ما الصور؟ قال: ﴿الصور قرن ينفخ

(١) البخاري رقم ١٣٧٤. مسلم رقم ٢٨٧٠.

(٢) سنن الترمذي رقم ١٠٧١، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٣٩١.

الإيمان بالملائكة

فيه^(١)، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ} [النمل: ٨٧]، وقد سماه الله تعالى أيضاً الناقور، كما قال تعالى: {فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاْقُورِ} [المدثر: ٨]، الناقور هو الصور^(٢)، فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد.

وقد سمي الله تعالى الصوت الذي يخرج إسرافيل من الصور بأسماء هي:

- النفخة: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ} [الحاقة: ١٣].

- الراجفة: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} [النازعات: ٦ - ٧].

- الزجرة: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [النازعات: ١٣].

والمشهور أن النافخ هو إسرافيل^(٣).

واختلف العلماء في عدد النفخات على أقوال:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات، وذلك أن الله نصَّ على هذه الثلاثة في كتابه:

نفخة الفرع: قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ} [النمل: ٨٧].

- نفخة الصعق: قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر: ٦٨].

- نفخة البعث: قال تعالى: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: ٦٨].

(١) أبو داود رقم ٤٧٤٢.

(٢) فتح الباري (١١ / ٣٧٦).

(٣) في الملائكة المقربين ص ١٥٦.

وقالوا: إن الفرع مغاير للصعق، واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاثة^(١).

القول الثاني: أنهما نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وقال: هذا هو ظاهر النصوص، كقوله تعالى: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} ^(٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ^(٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ^(٥١) قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ^(٥٢) [يس: ٤٩ - ٥٢].

وقوله: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ} هذه هي النفخة الأولى، وقوله: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} هذه هي النفخة الثانية، كقوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} ^(٦) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ} [النازعات: ٦، ٧] هما النفختان الأولى والثانية.

ويمكن الجمع بين الفرع والصعق، وجعلهما نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفرع وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها ونهايتها، أي أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ، فينفخ نفخة إفزاع يطولها ويمدها لا يفتر (وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع) فيما الناس في العذاب يشاهدون أحداث الزلزلة إلى أن يأمر الله بنفخة الصعق الأشد قوة وهولاً، فيموت لشدتها كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله^(٢).

وقد ذكر النبي ﷺ صاحب الصور بدون أن يسميه، وأنه التقم الصور بانتظار أن يؤمر في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى

(١) حديث الصور أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٣٢٥ وهو ضعيف.

(٢) اليوم الآخر للصلاحي ص ٨٨.

الإيمان بالملائكة

جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟ قالوا: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال: ﴿قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وعلى الله توكلنا﴾^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ما طرف^(٢) صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يردد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان﴾^(٣).

١٠ - قيامهم برعاية أهل الجنة ونعيمهم:

وكل الله سبحانه وتعالى بالجنة ملائكة يعمرونها ويغرسونها ويعملون أنهارها ويعدون لأهلها ما أمرهم الله به وهؤلاء هم خزنتها والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ، وهو المؤمن على الشيء الذي قد استحفظه^(٤)، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هؤلاء الخزنة في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٥) [الزمر: ٧٣].

فهم يتلقون المؤمنين بالتحية الأولى التي حيوا بها أباهم آدم عليه السلام وهي السلام، وهؤلاء الخزنة يدخلون على المؤمنين الجنة ويسلمون عليهم كما قال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٦) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ^(٧) [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وأول من يفتح له الخزنة باب الجنة نبينا محمد ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة منها حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) سنن الترمذي رقم ٢٥٤٨، السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٧).

(٢) الطرف: إطباق الجفن على الجفن.

(٣) الفتح (١١/ ٣٦٨)، السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٥).

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٨٧.

﴿آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك﴾^(١).

قال ابن كثير: وتدخل الملائكة عليهم من هاهنا ومن هاهنا بالتهنئة بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنيين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصادقين والأنبياء والرسل الكرام^(٢).

١١ - خزنة النار:

قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾^(٣٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ^(٣٧) لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ^(٣٨) لَوْ أَهْلُ لِبَشَرٍ^(٣٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ^(٤٠) { [المدثر: ٢٦ - ٣٠].

فهؤلاء التسعة عشر هم خزنة جهنم العظام ومعهم من الملائكة خلق لا يحصيهم إلا الله ولذلك عقب بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وأعظم هؤلاء الخزنة مالك عليه السلام، وقد تقدم، وقد وصف الله عز وجل هؤلاء الملائكة بصفات عظيمة تملأ النفوس خوفاً ومهابة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤١) [التحریم: ٦]^(٣).

أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة، شداد أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج^(٤).

(١) مسلم (١/ ١٨٨ - ٩٧) ك الإيمان.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٠).

(٣) في الملائكة المقربين ص ١٥١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٥١، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩١).

الإيمان بالملائكة

كما أن خزنة النار تتلقى الكافرين وتبشرهم بالنار وتلومهم على عدم طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر: ٧١، ٧٢].

وقال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: ٨، ٩].

وأهل النار والعياذ بالله ينادون الخزنة أن يشفعوا لهم عند الله لتخفيف ما هم فيه من العذاب، فيجيبونهم بلومهم على ما فرطوا في الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِ عَلَيْهِمْ وَعْدُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

وهؤلاء الملائكة بهم من القوة والعظمة ما يجعلهم يدخلون النار ويخرجون منها ويعذبون أهلها وهم سالمون من هذا العذاب العظيم، بل ثبت أنهم يجرونها يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا

سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها^(١).

ثانياً: أعمال الملائكة المتعلقة بالكون:

إن أعمال الملائكة ووظائفهم لا تقتصر على تلك الأعمال المتعلقة بالإنسان بل إنهم يقومون بأعمال كثيرة تتصل بالكون وما فيه من أشياء وأحداث، فمنهم من يحمل عرش الرحمن، ومنهم الموكل بسوق السحاب إلى حيث يشاء الله، ومنهم الموكل بالجبال، إلى غير ذلك من الأعمال التي يقومون بها تنفيذاً لأقدار الله تعالى في الخلق، يقول ابن القيم: فكل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض، كما قال تعالى: {فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا} [النازعات: ٥]، وقال: {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا} [الذاريات: ٤]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام، وأما المكذبون بالرسول المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم^(٢).

ولا يعني هذا أن للملائكة فعلاً مستقلاً عن الله تعالى، بل إن الفعل فعل الله والخلق خلقه، وليست الملائكة شركاء لله في فعله، وما يقومون به إنما هو بعلم الله تعالى، وإرادته عز وجل وقدرته، فالقرآن يخبرنا بأن الملائكة يتوفون الناس، ولكن الله عز وجل منه الإحياء والإماتة والفعل كله، ووفقاً لهذا فينبغي أن نعلم ونؤمن: أن الملائكة لا تملك للإنسان نفعاً ولا ضرراً، ومن ثم لا يجوز للإنسان أن يطلب منها ذلك أو يدعوها لجلب نفع أو دفع ضرر، بل الدعاء والتوجه والطلب لا يكون إلا لله وحده وقد

(١) في الملائكة المقربين ص ١٥٢.

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم ص ١٢٥.

الإيمان بالملائكة

أخبرنا القرآن الكريم بأن الملائكة لا شفاعاة لها إلا بإذن الله ورضاه. إذ أن الخلق كله والفعل كله والأمر كله لله وحده، قال تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} (٦٦)

[النجم: ٢٦].

وقد يثار السؤال لماذا عهد الله إلى الملائكة بهذه المهمات الجسيمة المتعددة مع أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟ للإجابة على ذلك يمكن القول: بأن ذلك ليس إلا مظهراً لسلطان الله وعظيم ملكه، وإظهار لقدرته المعنوية في مظهر حسي يتلاءم مع تصور الإنسان والمألوف في حياته^(١).

ومعلوم بالبداية أن الله عز وجل وهو الذي خلق هؤلاء الملائكة وأولاهم هذه الطاقة، غير محتاج إلى وساطتهم وسببيتهم في شيء ولكن شاء الله عز وجل أن يظهر سلطانه وقوته لعباده بالشكل الذي ألفوه في حياتهم، وتعودته أخیلتهم وأفكارهم^(٢)، كما يظهر هذا الخلق من خلال الأسباب التي ربط الله بينها وبين المسببات.

وقد يقال أيضاً: أليس في الإيمان بهذا الدور الذي تقوم به الملائكة منافاة لما يقوله العلم الحديث من وجود قوانين ونواميس كونية تضبط هذا الوجود؟ وللإجابة على ذلك يمكن القول: بأن هذه القوانين والأسباب هي من مخلوقات الله تعالى، والملائكة موكلة بها أيضاً وموكلة برعايتها كما ترى المخلوقات الأخرى^(٣).

(١) كبرى اليقينيّات للبوطي ص ٢٧٨.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩٢.

(٣) الإيمان محمد نعيم ياسين ص ٤٦.

ومن أعمال الملائكة في الكون:

١ - حملة العرش:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٧].

ودلت الآيات الكريمة: على أن الملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه وآخرون يكونون حوله وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية، إما ثمانية أملاك وإما ثمانية أصناف وصفوف^(١).

٢ - الموكلون بالسحاب والقطر:

قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ [الصافات: ١ - ٣].

ورد في تفسير هذه الآيات الكريمات أن هذه الصفات من صفات الملائكة عليهم السلام وأن الله أقسم بالملائكة الصافات بين يديه سبحانه وتعالى وبالملائكة التي تزجر السحاب وتسوقه إلى حيث أمرها الله وبالملائكة التي تنزل بالقرآن والكتب من عند الله سبحانه^(٢).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ﴿ملك من الملائكة موكل

(١) في الملائكة المقربين ص ١٤٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤).

الإيمان بالملائكة

بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»، فقالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: ﴿زجره السحاب إذا زجره حيث ينتهي إلى حيث أمر﴾. قالوا: صدقت الحديث^(١).

وهذا الحديث إنما يفيد أن للسحاب ملائكة يسوقونه وأن هذا الصوت الذي يسمع قد يكون صوت هذه الملائكة وقد يكون اصطكاك السحاب، ولا يدل والله أعلم على تسمية الملك الموكل بالسحاب باسم الرعد وقد صح أن الملك الموكل بالقطر هو ميكائيل عليه السلام ومعه أعوان يعملون ما يأمرهم به^(٢).

قال ابن كثير: ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل وعلا^(٣)، وحديث ميكائيل وأنه موكل بالسحاب أقوى من حديث ابن عباس في تسمية الموكل بالسحاب رعداً^(٤)، فقد احتج ابن كثير على إثبات عمل ميكائيل عليه السلام بحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وفيه: أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام: ﴿على أي شيء ميكائيل؟﴾، فقال: ﴿على النبات والقطر﴾^(٥)، فميكائيل عليه السلام هو الموكل بذلك والله أعلم ومعه أعوان من الملائكة ينفذون أمره^(٦).

(١) سنن الترمذي (٢٥٧ / ٤) رقم ٥١٢١، السلسلة للألباني رقم ١٨٧٢.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٥٤.

(٣) البداية والنهاية (١ / ٤١).

(٤) في الملائكة المقربين ص ٥٤.

(٥) رواه ابن أبي شيبة ك العرش رقم ٧٥ إسناده صحيح بشواهد.

(٦) مسلم (٢٢٨٨ / ٤) رقم ٢٩٨٤.

ومن أعجب ما يروى في ذلك حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: ﴿بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان فتحنى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة^(١) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هو ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه وأكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه﴾^(٢).

وفي هذا الحديث إثبات الملائكة الموكلين بالسحاب، وأنهم يسوقونه ويأمرونه ويكلمونه وربما كان الكلام الذي سمعه الرجل كلام الملائكة بعضهم لبعض، ثم ساقه الملك الموكل بهذه السحابة وفيه فضل الصدقة على المساكين والمحتاجين حيث عوض الله المتصدق وأرسل ملائكته يسوقون السحاب ليسقي أرضه جزاءً على صدقته وإحسانه إلى الفقير وإلى أهل بيته^(٣).

٣ - ملك الجبال:

تقدم الحديث في صفات الملائكة أن الله سبحانه وتعالى أرسل ملك الجبال ليطبق على أهل مكة الأخشيين إذا أمره النبي ﷺ بذلك^(٤)، وفي هذا دليل على أن للجبال ملائكة موكلون بها، وفيه كذلك دليل على ضخامة خلق

(١) في الملائكة المقربين ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٤، ١٥٥.

(٤) البخاري رقم ٣٠٥٩، مسلم رقم ١٧٩٥.

الإيمان بالملائكة

هؤلاء الملائكة الموكلين بالجبال، فكون ملك واحد يستطيع أن يطبق جبلين على أهل مكة يعني: أنه من الضخامة والقوة بحيث أصبح إطباق الجبلين عنده أمر هين ينفذه فور موافقة النبي ﷺ على ذلك، ومن فضل الله على هذه الأمة أن بعث لها نبينا ﷺ وهو الرحمة المهداة^(١)، وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٢٨) [التوبة: ١٢٨].

٤ - الملائكة الحافة بمكة والمدينة:

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يجرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق»^(٢). وفي حديث تميم الداري - رضي الله عنه - وهو حديث الجساسة المشهورة، قال: «إنني أنا المسيح وأنا أوشك أن يأذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاها كلما أردت أن أدخل واحدة - أو أحداً - منها استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يجرسونها»^(٣).

٥ - الملائكة الموكلة بالشام:

الشام بلاد مباركة كما قال تعالى: {سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ

(١) في الملائكة المقربين ص ١٥٥.

(٢) البخاري رقم ١٧٨٢.

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٢٦١) رقم ٢٩٤٢.

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ [الإسراء: ١].

فإلى مسجدها الأقصى أسرى بالنبي ﷺ فاجتمع بالأنبياء عليهم السلام وأمههم، ومنه عرج مع جبريل إلى السماء، وقصة الإسراء والمعراج معروفة والقصد التنبيه على فضل المكان، ومما يدل على فضلها أن مسجدها أحد المساجد الثلاثة التي تشد لها الرحال، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا﴾^(١).

ومما يدل على فضل الشام أن الملائكة باسطة أجنحتها عليه كما جاء ذلك في حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه^(٢).

ثالثاً: قيامهم بأعمال أخرى وبعض الفوائد:

قد لخص ابن القيم أهم أعمال الملائكة فقال: فإنهم موكلون بتخليقه "أي الإنسان" ونقله من طور إلى طور، وتطويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله، وأجله وسعادته، وشقاوته، وملازمته في جميع أحواله وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يعدونه

(١) مسلم (٩٧٦ / ٢) رقم ٨٢٧.

(٢) السلسلة الصحيحة (٥ / ٢) أطل الألباني البحث فيه وخلص لتصحيحه.

الإيمان بالملائكة

بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته، ومعلموه وناصره، والدّاعون إليه، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يُذكرونه إذا نسي ويُنشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تنزل عنده بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر^(١).

ومن وظائف الملائكة القيام بأعمال أخرى يأمرهم الله بها، ورد ذكرها في القرآن الكريم دون بيان تفصيلي عنها:

كقوله تعالى: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّجَّاجَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّلَاجَاتِ ذِكْرًا ۝٣} [الصافات: ١ - ٣].

وقال تعالى: {وَالذَّارِبَاتِ ذَرًّا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِياتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤} [الذاريات: ١ - ٤].

وقال تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصِيفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالتَّنَشِيطِ نُشْرًا ۝٣ فَالْمُرَقَّاتِ فَرَقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥} [المرسلات: ١ - ٥]^(٢).

(١) إغاثة اللفهان (٢/ ١٢٥ - ١٢٦).

(٢) على قول أنها من الملائكة.

ومن الأعمال الأخرى:

١ - إهلاك الأمم المكذبة:

ومن المهام المنوطة بالملائكة، إنزالهم للعذاب الشديد، وإهلاك الأمم المكذبة للرسول بأمر الله تعالى، وقد ورد في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس: ١٣].

- وقوله تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُذَرِّينَ} [يونس: ٧٣].

- وقال تعالى: {وَجَنَازُنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٩٠].

روى ابن جرير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ﴿لما قال فرعون: لا إله إلا الله جعل جبريل يحشو في فيه الطين والتراب﴾، وفي رواية أخرى قال: ﴿لما أغرق الله فرعون، قال جبريل يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة﴾ (١).

وفي إهلاك قوم لوط يقول جل ذكره: {وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} [٧٧] وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَعْفٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} [٧٨] قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ

(١) سنن الترمذي رقم ٣١٠٦ حديث حسن غريب صحيح وهذا الحديث بطريقة رواه ثقات ليس فيهم من هو سيئ الحفظ.

الإيمان بالملائكة

مَنْ حَقَّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّائِي رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ {هود: ٧٧ - ٨٣} ^(١).

٢- تبليغ النبي ﷺ بسلام أمته:

- قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

- وقال ﷺ: «من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً» ^(٢)، وقد حذر ﷺ من ترك الصلاة عليه فقال: «إن البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليّ» ^(٣).

- ومن شرف النبي ﷺ فقد وكل الله عز وجل بالصلاة عليه ملائكة سياحة يطوفون في الأرض يبلغون النبي ﷺ صلاة أمته عليه كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام» ^(٤).

- وقال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً،

(١) أصول الاعتقاد في سورة يونس، قذلة القحطاني ص ١٩٩.

(٢) مسلم (٣٠٦ / ١) رقم ٧٠ باب الصلاة على النبي.

(٣) سنن الترمذي (٢١١ / ٥) رقم ٣٦١٤ حسن غريب صحيح.

(٤) صحيح الجامع (٢ / ٢٣٤)، جلاء الإفهام لابن القيم ص ٢٤.

وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم^(١).

إن الله عز وجل قد وكل بالصلاة على النبي ﷺ ملائكة يبلغونه أيّاه في البرزخ، فينبغي على المسلم أن يحرص على الصلاة على النبي ﷺ بالصيغة الشرعية الصحيحة ويعلم أنها معروضة على النبي ﷺ^(٢).

٣ - حملهم التابوت لبني إسرائيل:

قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٤٨].

يخبر تعالى أنه قد ملك طالوت على بني إسرائيل لكنهم لم يرضوا ملكه كعادتهم في معصية أوامر الله والتكبر عليها بحجة أنه لم يكن من بيت الملك، وليس من أهل الأموال، وقد جعل الله من الآيات على صدق هذا الملك أن يأتيهم التابوت ويقال فيه علم بني إسرائيل جاءت الملائكة تحمله بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون^(٣)، وكان هذا تطميناً لهم وتثبيتاً كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى، فيتابعونه ويطيعونه^(٤).

(١) صحيح الجامع (٦ / ١٣٢)، رقم ٧١٠٣.

(٢) الملائكة المقربين ص ١٩٩.

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٣٠٠ - ٣٠٣).

(٤) عالم الملائكة الأبرار للأشقر ص ٦٦.

٤ - نزول عيسى عليه السلام بصحبة ملكين:

إن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من آيات الساعة العظمى التي يؤمن بها المسلمون، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

قال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧} بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ١٥٩ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٥٩}

[النساء: ١٥٧ - ١٥٩]، فهذه الآيات، كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء، كما في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَٰذَا وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥] فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان، وذلك عند نزوله، وقبل موته، كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة^(١).

وعيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان واضعاً يده على ملكين كريمين كما جاء ذلك في الحديث الطويل الذي رواه النواس بن سمعان، وفيه: ﴿فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين^(٢)، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين﴾^(٣).

٥ - تظليل الملائكة على الشهيد:

ومنها إظهارهم لجنائز الصحابي الجليل عبد الله بن حرام الأنصاري -

(١) أشراف الساعة ليويسف الوابل ص ٣٤٩.

(٢) مهرودتين: ثوبين مصبوغين بورد.

(٣) مسلم على شرح النووي (١٨ / ٦٣).

المبحث الخامس: أعمال الملائكة

رضي الله عنه - قال البخاري رحمه الله: باب ظل الملائكة على الشهيد - وساق بسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: جيء بأبي إلى النبي ﷺ وقد مثل به ووضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي وسمعت صوت نائحة فقيل: ابنة عمرو - أو أخت عمرو - فقال: ﴿لم تبك أو لا تبكي، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها﴾^(١).

٦ - شفاعتهم لأهل الإيمان:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ... فيقول الله عز وجل: ﴿شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين﴾^(٢).

٧ - نزولهم عند تلاوة القرآن:

ليستمعوا له كما حصل مع الصحابي الجليل أسيد بن حضير - رضي الله عنه^(٣) -.

٨ - حضورهم مجالس الذكر:

وحفهم الذاكرين الله تعالى، قال ﷺ: ﴿لا يقعدن قوم يذكرون الله عز وجل، إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده﴾^(٤).

٩ - شهود الملائكة لجنازة الصالحين:

استشهد سعد بن معاذ الأنصاري في غزوة الخندق بعدما انفجر جرحه

(١) البخاري رقم ١٢٤٤.

(٢) مسلم (١ / ١٦٧)، رقم ١٨٣.

(٣) البخاري رقم ٥٠١٨.

(٤) مسلم رقم ٢٧٠٠.

الإيمان بالملائكة

ونقله قومه فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا فخرج معه الصحابة، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالهم، وسقطت أرديتهم فشكا إليه أصحابه ذلك، فقال النبي ﷺ: ﴿إني أخاف أن تسبقني الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة﴾، فانتهى إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكي وتقول:

ويـلـ أم سـعد سـعداً :: حزامـة وجـداً
فقال: كل نائحة تكذب إلا أم سعد، ثم خرج به قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه، قال: ﴿وما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا ولم يهبطوا قطّ قبل يومهم قد حملوه معكم﴾^(١).

وقد جاء في النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما عدد الملائكة الذين شاركوا في تشييع جنازة سعد فقد قال ﷺ: ﴿هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضمة ثم أفرج عنه﴾^(٢)، يعني: سعداً.

١٠ - أسماء الملائكة وحكم التسمي بها:

أخبرنا - تبارك وتعالى - عن بعض أسماء ملائكته في قوله تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٩٨]. وعرض ابن القيم لحكم تسمي بني آدم بأسماء الملائكة فقال: يكره تسمية الأدميين بأسماء الملائكة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قال أشهب: سئل مالك عن التسمي بأسماء الملائكة وهو قول الحارث بن مسكين قال: وكره مالك التسمي بجبريل وياسين، وأباح ذلك

(١) سيرة ابن هشام (٣ / ٢٦٤)، الألباني في الصحيح رقم ١١٥٨.

(٢) سير أعلام النبلاء (١ / ٩٥)، إسناده صحيح.

غيره، قال عبد الرزاق في الجامع عن معمر قال: قلت لحَمَّاد بن أبي سليمان: كيف تقول في رجل تسمَّى بجبريل وميكائيل؟ فقال: لا بأس به^(١).

١١ - عداوة اليهود لبعض الملائكة:

تحدث ابن القيم عن عداوة اليهود لجبريل عليه السلام، فقالت اليهود للنبي ﷺ: من صاحبك الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك بالخبر؟ قال: ﴿هو جبريل﴾ قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة؟ فأنزل الله تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ

اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾}

[البقرة: ٩٧، ٩٨]^(٢).

* * *

(١) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) للأشقر ص ٦٨.

(٢) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) ص ٨٢.

المبحث السادس

من مكاييد الشيطان
في مسائل الإيمان بالملائكة

المبحث السادس: من مكاييد الشيطان في مسائل الإيمان بالملائكة

كل حركة في السماوات والأرض من حركات الأفلاك، والنجوم والشمس، والقمر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض، كما قال تعالى: {قَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات: ٥]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل - عليهم السلام - وأما المكذبون للرسل، المنكرون للصانع، فيقولون: هي النجوم^(١)، ولإبليس مكاييد عظيمة في مسائل الإيمان بالملائكة منها:

أولاً: إنكارهم:

يسعى إبليس جاهداً لإبطال الإيمان بالملائكة وهو هدف عظيم له لأن ذلك يؤدي إلى إنكار الرسالات والكتب، بل إنكار الخالق جل وعلا، فلم يتم معرفته والإيمان به تعالى إلا بما أخبرتنا به الرسل عن طريق الوحي الذي تلقته عن ملائكة الله تعالى ومن وسائله في ذلك:

١ - تفسير اللفظ بما لم يستعمل له، كقول النصارى: إن روح القدس هو حياة الله^(٢).

فالذي فسر النصارى به ظاهر كلام المسيح هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح وعادته في كلامه ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم، بل المعروف في لغته وكلامه وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى، وأما ضلال النصارى المحرفون لمعاني كتاب الله عز وجل فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع^(٣).

٢ - قول الفلاسفة بأنهم عقول فعالة متولدة عن نفس الله تعالى تولد العلة

(١) مكاييد الشيطان د. قذلة القحطاني ص ٥٢٦. إغاثة اللفهان (٢ / ١٧٢، ١٧٣).

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٣ / ١٩٨، ١٩٩).

(٣) المصدر نفسه (٣ / ١٩٨)،

الإيمان بالملائكة

من المعلوم لا ينفك عنه، وجعلوه كالأبن والبنت، فالعقول بنوه والنفوس بناته^(١).

ومنهم من يزعم بأن العقل الفعال هو جبريل، ويزعمون أن كلام الله يفيض على قلوب العباد بالعلوم والمعارف، وأن الملائكة تشكل في النفس بصورة أشكال نورانية وهذا الفيض يكون بحسب تلقي النفس بهذا الفيض الذي يمكن اكتسابه بنوع معين من الرياضيات وقوة التخيل والحس الباطن^(٢).

أما هؤلاء أعظم ضلال من اليهود والنصارى ومشركي العرب فإنهم في الحقيقة لا يجعلون الرب تعالى خالقاً لشيء ولا يفعل فعلاً بمشيئته واختياره ولا يجعلون الملائكة عباده بل يجعلون العقل الأول هو رب كل ما سوى الله، ويقال لهم: إن العقل في لغة المسلمين كلهم من أولهم إلى آخرهم ليس ملكاً من الملائكة ولا جوهرراً قائماً بنفسه بل هو العقل الذي في الإنسان، ولم يسم أحد من المسلمين قط أحداً من الملائكة عقلاً، ولا نفس الإنسان الناطقة عقلاً بل هذه من لغة اليونان.

ولهذا يؤول بهم الأمر إلى أن يجعلوا الملائكة والشياطين أراضاً تقوم بالنفس ليس أعياناً قائمة بنفسها حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار أن هذا خلاف ما أخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون^(٣).

٣- قول من يدعي أن الملائكة هي القوى الخيرة التي في الإنسان والتي

(١) مكاييد الشيطان د. قذلة ص ٥٢٧.

(٢) مكاييد الشيطان ص ٥٢٨.

(٣) بغية المرتاد لابن تيمية (١/ ٢١٩).

المبحث السادس: من مكاييد الشيطان في مسائل الإيمان بالملائكة

تحتة وتدفعه لعمل الخير، بعكس قوى الشر الرديئة وهي الشياطين^(١).

وهذا القول ينافي ما اتفق عليه المسلمون ودلّ عليه الكتاب والسنة^(٢)، كما أنه يؤدي إلى جعل الملائكة والشياطين أعراضاً قائمة بالأنفس لا وجود لها في الواقع^(٣).

ثانياً: عبادتهم وتقديسهم:

وهي طريقة أخرى للشيطان - أعاذنا الله منه - فزين لأناس عبادة الملائكة وتقديسها لإيقاعهم في الشرك والكفر وعبادته^(٤).

قال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} (٤٠) قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) [سبا: ٤٠، ٤١].

فالشيطان يدعو المشركين إلى عبادته ويوهمهم أنه ملك^(٥).

وتعليقاً على هذه الآية: يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك، وإنما أمرتهم بذلك الجن ليكونوا عابدين للشياطين التي تتمثل لهم، كما يكون للأصنام شياطين وكما تنزل الشياطين على بعض من يعبد الكواكب ويرصدها، حتى تنزل عليه صورة فتخاطبه، وهو شيطان من الشياطين^(٦).

وقد عبد الملائكة طوائف: منهم مشركو العرب الذين قالوا: إن الملائكة

(١) مكاييد الشيطان ص ٥٢٩.

(٢) إغاثة اللفهان لابن القيم (٢/ ٣٧٤).

(٣) بغية المرتاد (١/ ٢٥١).

(٤) مكاييد الشيطان ص ٥٣٠.

(٥) الجواب الكافي لابن القيم (١/ ٩٩).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ١٣٥).

الإيمان بالملائكة

بنات الله^(١)، كما ذكر الله تعالى في القرآن في قوله تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} (٢٠) [الزخرف: ١٩، ٢٠].

وفي قوله: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}.. جمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ.

أحدها: جعلهم الله تعالى ولداً، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً.
والثاني: دعواهم أنه أصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاً.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله عز وجل بل مجرد الآراء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخطب في الجاهلية الجاهلاء.

والرابع: احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدراً، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلاً كبيراً، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه^(٢).

* * *

(١) المصدر نفسه (١٧ / ٢٧١، ٢٧٢)، مصائد الشيطان ص ٥٣١.

(٢) تفسير ابن كثير (٦ / ٢٢٢) مصائد الشيطان ص ٥٣٢.

المبحث السابع

المفاضلة بين الملائكة والبشر

أولاً: المفاضلة بين الملائكة وحقوقهم على بني البشر وأثر الإيمان بهم:

الملائكة متفاوتون في الفضل، يفضل بعضهم بعضاً، شأنهم في ذلك شأن سائر المخلوقات، فأفضل الملائكة المقربون منهم.

يقول الحافظ ابن كثير في سياقه لأصناف الملائكة: ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش وهم الملائكة المقربون، كما قال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: ١٧٢].

وأفضل المقربين رؤساء الملائكة الثلاثة الذين كان النبي ﷺ يذكرهم في دعائه الذي يفتح به صلاته إذا قام من الليل حيث يقول: ﴿اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض...﴾ الحديث^(١)، يقول ابن القيم: ذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم واصطفائهم وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السماوات فلم يسم إلا هؤلاء الثلاثة^(٢).

وقد اختلف في المفاضلة بين هؤلاء الثلاثة، وقد اخترت أن أفضلهم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل على حسب ترتيب الحديث السابق.

وجبريل أطيب الأرواح العلوية وأزكاها وأطهرها^(٣) وأشرفها وهو السفير في كل خير وهدى وإيمان وصلاح، وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات فقال تعالى: {وَلَا أُقِيمُ بِالْخُسْفِ ۝ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ۝ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۝ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ ١٨ إِنَّهُ

(١) مسلم (١ / ٥٣٤) رقم ٧٧٠.

(٢) زاد المعاد (١ / ٤٣).

(٣) شفاء العليل لابن القيم (٢ / ٦٢٠).

المبحث السابع: المفاضلة بين الملائكة والبشر

لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ [التكوير: ١٥ - ٢١]، فهذا جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه وأنه مطاع في السماوات وأنه أمين على الوحي، فمن كرمه على ربه: أنه أقرب الملائكة إليه.

ومن قوته أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه، ثم قلبها عليهم فهو قويّ على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السماوات فيما يأمرهم به عن الله تعالى^(١).

وقد وصف الله تبارك وتعالى، رسوله جبريل عليه السلام بصفات في سورة التكوير، بأنه كريم، قوي، مكين عند الرب تعالى، مطاع في السماوات، أمين، فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن، وأنه سماع محمد من جبريل، وسماع جبريل من رب العالمين، فنهايك بهذا السند علواً وجلالة: قول الله سبحانه بنفسه وتزكيته^(٢).

الصفة الأولى: كون الرسول الذي جاء به إلى محمد ﷺ كريماً ليس كما يقول أعداؤه: إن الذي جاء به شيطان، فإن الشيطان خبيث مخبث، لئيم، قبيح المنظر، عديم الخير، باطنه أقبح من ظاهره، وظاهره أشنع من باطنه، ليس فيه ولا عنده خير، فهو أبعد شيء عن الكرم والرسول الذي ألقى القرآن إلى محمد ﷺ كريم، جميل المنظر، بهي الصورة، كثير الخير، طيب مطيب معلم الطيبين، وكل خير في الأرض من هدى وعلم ومعرفة، وإيمان وبر، فهو مما أجراه ربه على يده وهذا غاية الكرم الصوري والمعنوي.

الوصف الثاني: أنه ذو قوة، كما قال في موضع آخر: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} [النجم:

(١) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) للأشقر ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨.

[٥].

وفي ذلك تنبيه على أمور:

– أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنو منه وأن ينالوا منه شيئاً، وأن يزيّدوا فيه أو ينقصوا منه، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه.

– أنه موالٍ لهذا الرسول الذي كذبتموه، ومعاضد له وناصر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم: ٤]، ومن كان هذا القوي وليه، ومن أنصاره، وأعوانه، ومعلمه، فهو المهدي المنصور والله هاديّه، وناصره.

– أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبه ووليه جبريل، ومن عادى ذا القوة والشدة عرضه للهلاك.

– أنه قادر على تنفيذ ما أمر به لقوته، فلا يعجز عن ذلك، مؤدّ له كما أمر به لأمانته، وهو القوي الأمين، وأحكم إذا انتدب غيره في أمر من الأمور لرسالة أو ولاية، أو وكالة أو غيرها فإنما ينتدب لها القوي عليه الأمين على فعله، وإن كان ذلك الأمر من أهم الأمور عنده انتدب له قوياً أميناً معظماً ذا مكانة عنده مطاعاً في الناس، كما وصف الله عبده جبريل بهذه الصفات، وهذا يدل على عظمة شأن المرسل، والرسول، والرسالة، والمرسل إليه، حيث انتدب له الكريم القوي المكين عنده، المطاع في الملأ الأعلى، الأمين حق الأمين فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف ذوي الأقدار والرتب العالية.

الوصف الثالث: مكين عند ذي العرش، وهو المذكور في قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: ٢٠] أي له مكانة ووجاهة عنده، وهو أقرب الملائكة إليه وفي قوله: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ إشارة إلى علو منزلة جبريل، إذ

المبحث السابع: المفاضلة بين الملائكة والبشر

كان قريباً من ذي العرش سبحانه.

الوصف الرابع: مطاع، وقد أشار بهذا الوصف إلى أن جنوده وأعوانه يطيعونه إذا ندبهم لنصر صاحبه وخليله محمد ﷺ، وفيه إشارة أيضاً إلى أن هذا الذي تكذبونه وتعادونه سيصير مطاعاً في الأرض، كما أن جبريل مطاع في السماء، وأن كلا من الرسولين مطاع في محله وقومه، وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة الملوك المطاعين في قومهم، فلم ينتدب لهذا الأمر العظيم إلا مثل هذا الملك المطاع.

الوصف الخامس: الأمانة، وفي وصفه بالأمانة إشارة إلى حفظه ما حملة، وأدائه له على وجهه^(١).

الوصف السادس: جمال جبريل وبهاؤه، قال تعالى واصفاً جبريل عليه السلام الذي يأتي نبينا بالوحي من عند الله: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} ٥ ذُورِ ٦ فَاسْتَوَى ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ١١ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ١٤ عِنْدَ حَاجَةِ الْمَأْوَى ١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ١٧} [النجم: ٥ - ١٧].

ثانياً: المفاضلة بين الملائكة وصاحبي البشر:

هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة وبين صالحى البشر محل خلاف بين أهل العلم وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتج به من النصوص ولكن القول الراجح هو تفضيل صالحى البشر على الملائكة وذلك للأدلة الآتية:

١- روى أبو يعلى الموصلى في كتابه "التفسير" بسنده عن عبد الله بن

(١) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) ص ٣٠.

الإيمان بالملائكة

- سلام - رضي الله عنه - قال: ﴿ما خلق خلقاً أكرم على الله من محمد ﷺ﴾^(١).
- ٢- قوله تعالى قصصاً عن إبليس: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} [الإسراء: ٦٢]، فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس إذ أمر بالسجود له، وأن السجود لآدم دليل على تكريم الله له على من أمرهم بالسجود له.
- ٣- أن الله خلقه بيده والملائكة لم يخلقهم بيده بل بكلمته.
- ٤- قوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} وفيها دليل على تفضيل الخليفة من وجهين:
- أولهما: أن الخليفة يفضل على من هو خليفة عليه وقد كان في الأرض ملائكة.
- ثانيهما: أن الملائكة طابت من الله تعالى أن يكون الاستخلاف فيهم والخليفة منهم فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها.
- ٥- تفضيل آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله عز وجل عن علم الأسماء فلم يجيبوه واعترفوا أنهم لا يحسنونها فأنبأهم آدم بذلك.
- ٦- قصة سجود الملائكة كلهم لآدم ولعن الممتنع عن السجود وهذا تشريف وتكريم له.
- ٧- الآثار الكثيرة المروية عن السلف التي تفيد تفضيل صالحى البشر على الملائكة من غير نكير منهم لذلك ولم يخالف أحد منهم في ذلك إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء فقد كان ذلك كالمستقر عندهم.

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٥/ ٣٦٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

المبحث السابع: المفاضلة بين الملائكة والبشر

٨- أحاديث المباهاة، فإن الله يباهي ملائكته بعباده المؤمنين المتلبيين بالطاعة كمباهته بأهل عرفة^(١)، ونحو ذلك.

٩- ما أعده الله لصالحى البشر يوم القيامة من خير عظيم وفضل عظيم ونعيم مقيم وقرة عين لا تنقطع وتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم نسأل الله أن يجعلنا منهم^(٢).

ولهذا كان أكثر الناس على تفضيلهم - أي صالحى البشر - على الملائكة لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعي النفس والشهوات البشرية، فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق وهي كالنفس للحي، وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس وقمع الشهوات ومخالفة دواعي الطبع فكانت أكمل^(٣).

وخلاصة القول في هذه المسألة أن يقال: إن صالحى البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية، فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد لهم من الثواب والنعيم في دار الكرامة الشيء الكثير مما لم يذكره للملائكة الأبرار عليهم السلام، وقد انقطع عملهم ولم يبق لهم إلا التمتع بما أنعم الله به عليهم، وعمل الملائكة دائم لا ينقطع ولذلك يدخلون على المؤمنين ويسلمون عليهم، وأما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل لأنهم جبلوا على طاعة الله قبل بني آدم وأطاعوا الله ولم يعصوه طرفة عين وعبادتهم أكثر بالجملة من عبادات البشر^(١).

(١) الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٢٠٠).

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢٠٨.

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم (١١/ ٩٥).

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٠٩.

الإيمان بالملائكة

وبعد فإن الخوض في هذه المسألة وطلب المفاضلة بين صالحى البشر والملائكة من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به والله المستعان^(١).

ثالثاً: حقوق الملائكة على بني آدم:

١ - الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، لا يتم إيمان عبد إلا بالإيمان بهم، والقصد هو أن الله عز وجل قد أوجب على بني إسرائيل الإقرار بوجود الملائكة وجعل هذا الإقرار ديناً يسأل عنه الإنسان يوم القيامة وكلما ازداد الإنسان معرفة بأحوالهم ازداد إيماناً لأنه يتضمن التصديق بالأخبار الواردة عن الله ورسله ﷺ فيهم، ولولا أهمية معرفة أحوالهم وصفاتهم وأعمالهم لما جعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بهم الركن الثاني من أركان الإيمان^(٢).

٢ - البعد عن الذنوب والمعاصي:

أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي والكفر والشرك، ولذا فإن أعظم ما يهدى للملائكة ويرضاهم أن يخلص المرء دينه لربه، ويتجنب كل ما يغضبه^(٣).

٣ - البعد عما تكرهه الملائكة:

جاءت أحاديث تنهى عن بعض ما يؤذي الملائكة ودلت أحاديث أخرى على أن الملائكة لا تدخل البيوت التي فيها ما تكرهه فمن هذه الأمور

(١) المجموع الثمين لابن عثيمين (١/ ١٣٨).

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢٠٩.

(٣) عالم الملائكة الأبرار ص ٦٨.

المبحث السابع: المفاضلة بين الملائكة والبشر

التي تكرهها الملائكة والتي يجب علينا الابتعاد عنها حتى لا يفوتنا الخير بابتعاد الملائكة عنا:

- الصور والتماثيل. - تربية الكلاب في البيوت.
- تعليق الجرس على الدواب.
- ترك الاغتسال عن الجنابة حتى يصبح ذلك عادة عند الإنسان.
- التطيب بالخلوق وهو طيب مركب من زعفران وغيره وهو من الأطياب الخاصة بالنساء، وقد تقدمت الأحاديث التي تنهى عن ذلك.
- ومن ذلك أكل الثوم أو البصل والكرات أو ما شابهها من البقول ذات الرائحة الكريهة، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرات، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها، فقال: ﴿من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس﴾^(١).
- ومما نهينا عنه من أجل الملائكة البصاق عن اليمين في الصلاة^(٢)، وقد جاء في علة النهي عن البصاق عن اليمين أن على يمين المصلي ملكاً فلأجل إكرامه وعدم أذيته عن البصاق عن اليمين في أثناء الصلاة، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: ﴿إذا قام أحدكم فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً وليبصق عن يساره أو تحت قدميه فيدفعها﴾^(١).

(١) مسلم (٣٩٤ / ١) رقم ٥٦٤.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢١٩.

(١) فتح الباري على صحيح البخاري (٢ / ٥١٢).

٤ - محبتهم وذكر فضائلهم:

وعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة فلا يفرق في ذلك بين ملك وملك لأنهم جميعاً عباد الله عاملين بأمره تاركين لنهييه وهم في هذا وحدة واحدة لا يختلفون ولا يفترون^(١)، فنحن نحبههم لأنهم عبيد الله لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ونحبهم لأعمالهم العظيمة التي يقومون بها في السماوات والأرض، ونحبهم لدعائهم لنا عند الله سبحانه وتعالى.

- كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾} [غافر: ٧ - ٩].

- وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾} [الأحزاب: ٤٣].

- وقال تعالى: {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الشورى: ٥].

فهذه الأدعية العظيمة من هؤلاء الملائكة الأخيار في ذاك المكان الشريف عند الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى وذلك مما يوجب علينا أن نكافأهم على فضلهم ودعائهم لنا بحبهم ودعاء الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء^(١)، وقد

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ٦٩.

(١) في الملائكة المقربين ص ٢١٠.

المبحث السابع: المفاضلة بين الملائكة والبشر

كان النبي ﷺ يكافئ من دعاه إلى طعام بالدعاء له أن تصلي عليه الملائكة كما جاء في حديث أنس - رضي الله عنه - في قصة زيارة النبي ﷺ فلما فرغ قال: ﴿أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون﴾^(١).

وكلما تدبر الإنسان أعمالهم التي يقومون بها ازداد حباً لهم وتعظيماً ولو لم يكن بهم إلا الإيمان بالله لوجب حبهم لإيمانهم فكيف وفيهم من الخصال العظيمة والخلال الشريفة ما تكفي كل واحدة منها لمحبتهم وذكر فضلهم، فالواجب على المسلم أن يحب أولياء الله ومنهم الملائكة الكرام وأن يعظمهم وأن يتدبر ما جاء في صفاتهم العظيمة في الكتاب والسنة، وأن يعتقد فضلهم وأن يذكرهم بما هم أهل له وأن يثني عليهم بما أثنى الله به عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وأن يتشوق إلى لقائهم في دار كرامته^(٢).

٥ - عدم سبهم أو تنقصهم أو الاستهزاء بهم:

من حقوق الملائكة عليهم السلام علينا ذكرهم بالخير دائماً والبعد عن أي كلام فيه تنقص لهم أو سب أو شتم أو إظهار لعداوتهم فإن بغضهم وعداوتهم كفر بهم والكفر بهم كفر بالله عز وجل، كما قال تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (١٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} (١٨) [البقرة: ٩٧، ٩٨].

وهذا وعيد وذرمة لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلان أن عداوة البعض

(١) مسند أحمد (٣/ ١٣٨) إسناده صحيح.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢١٢.

تقتضي عداوة الله لهم^(١).

ولا شك أن ملائكة الله سبحانه وتعالى هم من أوليائه المقربين، كما قال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: ١٧٢].

وعداوة أوليائه من أعظم الذنوب التي توجب غضب الله وعداوته، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(٢).

رابعاً: أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان:

للإيمان بالملائكة أثر في حياة المسلم يتمثل فيما يلي:

١ - أن الإيمان بالملائكة يقوي الشعور لدى المسلم بعظمة الله عز وجل:

فالملائكة كما اتضح من صفاتهم ووظائفهم خلق عظيم، عظيم في القدرة، عظيم في السرعة، عظيم في الطاعة، وهذه العظمة تعكس عظمة الباري سبحانه، فهو الله الواحد الأحد بديع السماوات والأرض، ولا يعدو الملائكة أن يكونوا جنداً من جنود تنفيذ أمره وعباداً له سبحانه^(٣).

والمقصود: أن العلم بهذه المخلوقات العظيمة وهي ملائكة الرحمن عليه السلام والتدبر في صفاتهم التي أخبرنا الله بها في القرآن وثبتت في السنة يجعل القلب مضطراً إلى تعظيم خالقه وهيبته وخوفه ورجائه، فإن خالق هذه المخلوقات العظيمة ولا شك يستحق لأن يعبد وحده سبحانه وتعالى

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٣٦).

(٢) البخاري رقم ٦١٣٧.

(٣) العقيدة الإسلامية، د. أحمد جلي ص ١٧٨.

المبحث السابع: المفاضلة بين الملائكة والبشر

وأن يتقي بأن يذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصى^(١).

قال تعالى: {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} ٧٤ {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} ٧٥ {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} ٧٦ {الحج: ٧٤ - ٧٦}.

وقال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَلَى عَمَائِكُمْ كُنُوتٌ} ٦٧ {الزمر: ٦٧}.

وقد احتج العلماء بأحوال الملائكة مع الله عز وجل على وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وتعظيمه، قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبا: ٢٣].

وهذه الآية قيل أنها تقطع عروق شجر الشرك وهذه الآية تبين حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى وهيبتهم منه وخشيتهم له فكيف يدعوهم أحد من دون الله وإذا كانوا لا يدعون مع الله لا استقلالاً ولا واسطة فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يدعى ولا يعبد، ففيه الرد على جميع المشركين الذين يدعون مع الله من لا يداني الملائكة ولا يساويهم في صفة من صفاتهم^(٢).

٢ - تحقيق الإيمان:

قال تعالى: {ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} ٢٨٥ {البقرة: ٢٨٥}.

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٢٩.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢٣٠.

الإيمان بالملائكة

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

فمن آمن بالملائكة فقد حقق ركناً واجباً من أركان الإيمان ويلزمه أن يأتي ببقية الأركان، والكفر بهم ولا شك كفر بالله يوجب زوال بقية الأركان، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

٣- معرفة كثير من أسرار الكون والخلق مما يزيد الإيمان في قلب المؤمن: يتعرف الإنسان على كثير من أسرار الكون إذ تدبر الآيات التي ذكر الله فيها الملائكة وما وكلها به من أعمال فينشرح صدره ويزداد إيمانه فإذا رأى السحاب عرف أن له ملائكة تسوقه وهذه الجبال لها ملائكة تتولاها، كذلك والنطفة في الرحم، والميت في قبره ستأتيه ملائكة، ويوم القيامة سيرى الملائكة، فيحب الملائكة ويزداد الله خشية وتعظيماً (٢)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنَةُ وَهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنَةُ وَهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنَةُ وَهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

٤- الحصول على الأمن والطمأنينة:

فالأمن في الدنيا والطمأنينة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة متوقفة على تحقيق الإيمان ومن ذلك الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنَةُ وَهُمْ لَا يُكَذِّبُونَ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

(١) مسلم، ك الإيمان رقم ٩٣.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢٣٢.

مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

- وقال تعالى: { قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } [طه: ١٢٣ - ١٢٦].

وهناك أمن آخر وطمأنينة حسية في الدنيا تحصل لمن حقق الإيمان بالملائكة وذلك أن الإنسان إذا عرف أن الله قد وكل به ملائكة يحفظونه من أمر الله وبأمر الله ويحفظونه من أعدائه اطمأنت نفسه وسكن قلبه وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعلم أنه إن ذكر الله ببعض الأذكار المشروعة كآية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحو ذلك أرسل الله ملائكة يحفظونه من أعدائه فلا يضره جني ولا دواب ولا سحر إذا عرف ذلك ركن إلى الله وتوكل عليه وابتعد عما لا ينفعه من الذهاب إلى الكهان والسحرة ونحوهم لأنهم لا يزيدونه إلا خوفاً، كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾} [الجن: ٦].

وأيضا كنت وأينما توجهت في بر وبحر وأرض وسماء وليل ونهار فإن معك ملائكة لا يفارقونك أبداً فاحرص على الأذكار المشروعة حتى تحصل على الأمن والطمأنينة ولذلك أرسل الله الملائكة إلى النبي ﷺ وأصحابه في الغزو لتنبيههم، كما قال سبحانه: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾} إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْتُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً

لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ [الأنفال: ٩ - ١٢] ^(١).

٥ - الإيمان بالملائكة يعكس مركز الإنسان الكبير في الكون:

فالملائكة الذين هم أشد منّا قوة وأقوى سريرة، قد أمروا بالسجود لآدم عليه السلام، وسخروا لتدبير أمور حياتنا في الدنيا، والقيام بشؤوننا في الآخرة، وفي هذا تنبيه للإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض أن يعرف قيمته وقدره، وأن يتصرف بناء على ذلك، فيسلك الصراط المستقيم، ويتجنب طريق الغواية والضلال.

٦ - الإيمان بالملائكة يدفعنا إلى التشبه بهم:

في الإقدام على الطاعات والابتعاد عن المعاصي فحينما يعلم الإنسان أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يحمله ذلك التشبيه بهم والسير على نهجهم فتقوى بذلك روحه المعنوية، ويتدرج في مدارج الكمال، وقد نبه الإمام الغزالي إلى هذا المعنى في بيانه لأسرار العبادات، ففي بيانه لأسرار الصوم قال: إن المقصود به الاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم منزهون عن الشهوات... وكلما قمع الإنسان الشهوات، ارتفع إلى أعلى عليين، والتحق بأفق الملائكة، والملائكة مقربون من الله عز وجل، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم، فإن

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٣٣.

المبحث السابع: المفاضلة بين الملائكة والبشر

الشبيه من القريب قريب^(١)، وفي بيانه لأسرار الحج يقول: وأعلم أنك بالطواف، متشبه بالملائكة، الحافين حول العرش الطائفين حوله^(٢).

٧- إن الإيمان بالملائكة يدفع المرء إلى الاستحياء من الله تعالى:

والبعد عن معصيته في السر والعلن، فإذا آمن الإنسان بأن الملائكة تتغشاه في مجالسه وتتولى كتابة أعماله وأنهم يتعقبونه في صحوه وغفلته، وفي سفره وحضره، فلن يستسهل الإقدام على المعصية أو اقتراف الخطيئة.

٨- إن الإيمان بالملائكة يولد لدى المرء الأنس:

وعدم الشعور بالوحشة أو الاستسلام لليأس، فحينما يصاب المؤمن بالضيق أو يتعرض للأذى، أو يقابل بالعداء والسخرية من أعداء دينه يجد من الملائكة الأنيس والرفيق الذي يواسيه ويصبره ويشجعه على مواصلة السير والثبات على الحق، فيقدم من ثم على مواجهة الأعداء، إذ يعلم أن الله تعالى معه، يؤيده بجنود من عنده يكونون عوناً له وناصر^(٣).

٩- الانتباه إلى أن هذه الحياة الدنيا فانية لا تدوم:

حين يتذكر ملك الموت المأمور بقبض الأرواح حين يتوفاها، ومن ثم فلا تستحق هذه الحياة الدنيا أن يُشغل بها الإنسان عن الآخرة، ويكفيه منها المتاع الطيب الحلال الذي أباحه الله.

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٣٦).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٦٩).

(٣) العقيدة الإسلامية د. جلي ص ١٧٩.

١٠- عمل الحساب للآخرة:

حين يتذكر الإنسان ترحيب الملائكة بالمؤمنين في الجنة وتعذيبهم للكفار في النار، فيحب أن يكون ممن أنعم الله عليهم بجنته ورضوانه ووقاهم عذاب السموم^(١).

* * *

(١) ركائز الإيمان محمد قطب ص ١٨٨.

الخاتمة

فهذا ما يسره الله لي من حديث في سلسلة أركان الإيمان عن الإيمان بالملائكة، وقد سميت هذا الكتاب "الإيمان بالملائكة"، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد والمئة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريئان منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرم من الأجر، وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان، وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ويقول الشاعر:

كن فاعلاً للخير قوَّالاً له :::: فالقول مثل الفعل مقترنان
 من غوثٍ ملهوفٍ وشبعة جائع :::: ودثار غريانٍ وفدية عان
 فإذا عمِلَتِ الخير لا تمُنْ به :::: لا خير في ممدح منان
 اشكر على التعماء واصبر للبلاء :::: فكلاهما خلقتان ممدوحان
 بالله ثق وله أنب وبه استعن :::: فإذا فعلت فأنت خير مُعان
 وإذا عصيت فتب لربك مسرعاً :::: حذر الممات ولا تقل لم يان
 وإذا ابتليت بعسرة فاصبر لها :::: فالعسر فرد بعده يسران^(١)

ويقول الشاعر:

دين بالشرعية والكتاب كليهما :::: فكلاهما للدين واستطان

(١) نونية القحطاني لأبي محمد الأندلسي ص ٤٠.

الإيمان بالملائكة

وكذا الشريعة والكتاب كلاهما :: بجميع ما تأتيه مُحَفَظَان
ولكلِّ عبد حافظان لكلِّ ما :: يقع الجزاء عليه مخلوقان
أُمرَا بكتب كلامه وفعاله :: وهما لأمر الله مُتَمَرَّان^(١)

“سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك“

* * *

(١) المصدر نفسه ص ١٦.

الفهرس

فهرس الكتاب

المقدمة	٤
المبحث الأول: تعريف الملائكة وحقيقتهم ومادة خلقهم	١٢
المبحث الثاني: صفات الملائكة الخلقية والخلقية	٢٣
المبحث الثالث: عدد الملائكة وأسماءهم وهل يموتون	٤٣
المبحث الرابع: عبادة الملائكة	٦١
المبحث الخامس: أعمال الملائكة	٨٨
المبحث السادس: من مكاييد الشيطان في مسائل الإيمان بالملائكة	١٥١
الخاتمة	١٧٤
الفهرس	١٧٦

* * *

كتب صدرت للمؤلف

- ١ - السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
- ٢ - سيرة الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
- ٣ - سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
- ٤ - سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
- ٥ - سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
- ٦ - سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب. شخصيته وعصره.
- ٧ - الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
- ٨ - فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
- ٩ - تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
- ١٠ - تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
- ١١ - عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
- ١٢ - الوسطية في القرآن الكريم.
- ١٣ - الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
- ١٤ - معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
- ١٥ - عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
- ١٦ - خلافة عبد الله بن الزبير.
- ١٧ - عصر الدولة الزنكية.
- ١٨ - عماد الدين زنكي.
- ١٩ - نور الدين زنكي.
- ٢٠ - دولة السلاجقة.
- ٢١ - الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
- ٢٢ - الشيخ عبد القادر الجيلاني.
- ٢٣ - الشيخ عمر المختار.
- ٢٤ - عبد الملك بن مروان وبنوه.
- ٢٥ - فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

- ٢٦ - حقيقة الخلاف بين الصحابة.
- ٢٧ - وسطية القرآن في العقائد.
- ٢٨ - فتنة مقتل عثمان.
- ٢٩ - السلطان عبد الحميد الثاني.
- ٣٠ - دولة المرابطين.
- ٣١ - دولة الموحدين.
- ٣٢ - عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
- ٣٣ - الدولة الفاطمية.
- ٣٤ - حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
- ٣٥ - صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
- ٣٦ - استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول ﷺ دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
- ٣٧ - الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
- ٣٨ - الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
- ٣٩ - المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
- ٤٠ - سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
- ٤١ - الإيمان بالله جل جلاله.
- ٤٢ - الإيمان باليوم الآخر.
- ٤٣ - الشورى في الإسلام.
- ٤٤ - السلطان محمد الفاتح.
- ٤٥ - الإيمان بالقدر.
- ٤٦ - الإيمان بالملائكة.

* * *

